ليس لي

الكتاب : ليس لي

الكاتب : مجموعة مؤلفين

تصميم الغلاف :

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

الطبعة : الأولى٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2020/3262

الترقيم الدولي : 978-977-6783-35-5

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ليس لي

تأليف

مجموعة مؤلفين

صدمة العمر

وفي احدى الجلسات العائليه العاديه نظر اليها نظره متبلده من المشاعر وهي تتحدث بكل عفويه وشكلها يوحي بانها اصبحت في الخمسين من عمرها، اغمض عينيه وتذكر اخر محادثه مع تلك الجميله التي سحرته بجمالها الاخاذ ورقتها ومستواها التعليمي العالي، لم تفارق مخيلته اخر محادثه معها. على الرغم من انه اصبح في الاربعين من عمره، لكنه كان يشبه شاب العشرينيات، مهتم بنفسه.. متعالى.. يحب كل شيء في مكانه الصحيح ولكنه أخطأ مره وللاسف كان خطأ جسيم، يتذكره كثيرا فيعمل على سلب النوم من على اجفانه، يتذكر ذلك اليوم بكل تفاصيله، حيث عاد فيه من القاهره وهو محطم القلب من اثار علاقه حب فاشله، فقالت له والدته : لا تحزن سوف ازوجك لفتاه صغيره جميله.. لم تتعلم، حتى تكون لك خادمه.. تسمع كلامك دوما.

أعجب بخطه امه الشريره وبرقت فكره امتلاك عقل طفله في مخيلته. على الرغم من انه متعلم و خريج جامعه الا ان تفكيره يتبع تفكير والدته، فهو ابنها في المقام الاول والاخير، ترك لها زمام الامور وجعلها تتحكم في حياته وبالفعل تزوج بنت القريه التي لم تخرج من بيت ابوها ولم تكمل حتى الاعداديه، كانت بسيطه تسمع كلامه في كل شيء، انجبت له طفل واثنين حتى بلغ عددهم خمسه.

وفجأه استيقظ ووجد نفسه مع امراه مهمله في نفسها، بعدما تدهور جسدها من كثره الولادات المتلاحقة، وجد نفسه في بيت يشبه عش الطيور وليس عش الزوجيه. فالام طفله تحملت مسئوليه اطفال في زمن قياسي صغير و شيئا فشيئا لم تتحمل هذه المعاناه، فتركت اثرها عليها من خلال تبلدها في كل شيء، فكان غاضب دوما من تقصرها واهمالها في بيتها اما هي فكانت تفعل كل شيء بتكشيره تعمل على تكبير ملامح وجهها الصغير. حتى سافر مره و بالصدفه قابلت تلك الحبيبه مره اخرى حيث في زمن سابق لم ترضى به بسبب وضعه كطالب لن يتحمل نفقات الارتباط، تقابلا في مكان هادئ و تفاجئ بانها تطلقت من زوجها لانها تمردت عليه بسبب غيرته الشديدة ، فعادت ترمي شباكها عليه من جديد، على الرغم من معرفتها بانه متزوج و لديه اطفال لكنها قالت بكل انانيه :

لا يهم فمظهره يوحي بأنه لم يدخل في حياه زوجيه بعد

وبالفعل تزوجها ولم يعلم زوجته بالأمر، التي كانت اقصى احلامها هو الجلوس امام عتبه منزلها تقطع في سيره فلانه وعلانه هي والبقية من أصدقائه.

مـر عـلى زواجـه سـنوات وزوجتـه لاتـدري، لم يكـن يعـاني مـن تانيـب ضمـير ولا اي شيء مشـابه، لانـه دومـا كان يشـعر بانـه الضحيـه الوحيـده التـي انسـاقت وراء كلام امـراه جاهلـه وللأسـف هـي والدتـه.

ولكـن مثـل اي سر لابـد ان ينكشـف، فوقـع الخـبر عليهـا كالصاعقـه وكذلـك عـلى ابنائهـا قالـت بـكل حـسره :

متزوج من قرابه خمسه سنوات ولا أعلم

بكـت بحرقـه عـلى عمرهـا الذي ضاع، فقـد طعنها بسـكينه بـارده فتحولت في لحظه الى أشـلاء.. لا امـل في رجوعهـا لتلـك الفتـاه اليافعـه التـي حملـت مـن أجلـه هـم أكـبر مـن عمرهـا بمراحـل. تدمـرت نفسـيه ابنتـه الكـبرى، صدمـت في والدهـا، فعندمـا يكون اول حـب في حياتها تشـاركه امراه اخـرى واولاد آخـرون... تكـون الصدمـه كبـيره، فكـرت في الانتحـار حتـى نفـذت الفكـره في النهايـه، فقد ابنته التي كانت اجمل شيء في حياته و اصبحت الحياه بعدها مستحيله.

ايمان مصطفى

جنّية البّحر

كل امرئ هو سيّد موته.

رواية الحب في زمن الكوليرا لغبرييل غارسيا ماركيز

يوسف الصّياد مع أصدقائه قرب قارب صغير كانوا يتسايرون ويضحكون أين يوسف لازال يحاول فكّ حبال الصّيد بيدّه، وصديقه بدرو جثى على ركبتيه يحاول فرز السّمك ، بينما صديقهم الثالث أخذ في يدّه نصيبه من السّمك المصطاد قائلا:

- خاوتي أنا نخليكم، راني رايح، تبقو على خير اجْماعة.

فرد عليه يوسف بابتسامة قائلا:

- نعرفوكْ مليح، كيما العادة، يلحق الليل تهرب، خلاص حفظناك وحفظنا عادتكْ!حتى حنا رجعنا منديروش حسابك!

فقال بدرو بابتسامة خفيفة:

- غير خلّيه كما هكا يوسف ولا راح يبدا تفلسيف تاعو، وحتى رايحين نفقدوه كامل، راك تعرفو، على الأقل راه مزال يجي معانا، وإذا درت حسابوعلابالك منعودوش نشوفوه كامل، خلي على طبيعتو أحسن.

يوسف وبدرو بعدما بقيا هناك أشعلا النار أين يقومان بشواء السمك المصطاد، وفي يدهما قارورة غلفوها بالجريدة، جالسين قرب الشاطئ، أحيانا يقرّبون يدّيهما للنّار لتدفئتها، وأحيانا يقلّبون السّمك الذي وضعوها فيها، أتت قطة إلى يوسف، تدور حوله ولا تريد تركه، كلما يطردها بيدّه أو بأيّ إشارة منه ترجع إليه، اقتربتْ إليه أكثر محاولا بيده أن يطردها فخربشته حينها ظربها، في تلك الأثناء صعدت فوق أكتافه، أحسها امرأة صعدت فوقه، يتخبّط محاولا التخلص منها ولم يقدر ذلك، بصعوبة بالغة وهو يصرخ أسقطها أرضا، يحاول أن يلمس ظهره بيدّه، ماسكا على ظهر رقبته بيدّه ليتحسّسها، فسأله بدرو قائلا بتعجّب ظاهر:

- ماذا بيك؟ هذه قطّة فعلت كلّ هذا بك؟ هههه، انّها قطّة قطة، ماذا بيك يوسف؟ لم أكن أعرفك جبان لهذا الدراجة!

- من قلبك بدرو؟ والله احسستها جبل سقط عليا، هذه لست بقطة، القطة لا تفعل

هكـذا، وأيضـا أحسسـتها ثقيلـة فـوق ظهـري... واللـه قلبـي توقـف أتعـرف؟

- ربي يهديـك، ليسـت قطـة؟ اذن أسـد! كنـت معـك، أعتقـد بـدأ العمـل فيـك؟ انتظـر انتظـر لا تـشرب أكـثر وإلا سـتقول بـأنّ الفيـل قـد جـاء إليـك هـذه المـرة ... هـه، إنـك تتوهـم وتصـدق روايـات نسـيم أعتقـد...

فجـأة انبعـث دخـان مـن قـرب البحـر، نظـرا إليـه باسـتغراب، بـدرو مسـك قرورتـه رافعهـا إيّاهـا للسـماء ونظـر إليهـا بتمعّـن، ابتسـم وفـرك عينـه، نهـض يوسـف مـن مكانـه وعـلى وجهـه ايمـاءات الفـزع، بلـع ريقـه، نظـر لبـدرو فشـار إليـه باصبعـه للدّخـان، وقـال وهـو يتلعثـم:

- هل ترى ما أراه؟ لا أعتقد، بدأتُ بالجنون! ليس هناك أي تفسير آخر أنا جُننتُ الآن.

نهض بدرو هو الآخر يكاد يتعثّر قائلا:

- إنني أرى أكثر مما تراه، اعتقد هذا الشراب عمل فينا عملته؟

- ليس الشراب الذي عمل عملته، هذه حقيقة وإنها تحدث أمام أعيننا.

خـرج مـع الدّخـان شيء أسـود يكـبر أكـثر، وكأنّـه وحـش ملفـوف بسـتار أسـود، نظـرا إليـه صارخـان مـع بعـض، فبـدآ بالرّكـض، وهـما يتعـثّران فيحـاول الآخـر مسـاعدة غـيره، والوحـش يتقـدّم نحوهـما، وهـما يركضـان وينظـران مـن حـين لآخـر للـوراء، وكلّـما لمحـاه يصرخـان أكـثر...

أثنـاء الرّكـض وهـما يلهثـان، لمحـا بيـت، نظـرا للـوراء ولم يلاحظـا الوحـش، وقفـا للحظـة وهـما ينظـران للبيـت، أرجعـا أنفسـهما، يوسـف شـد بيـدّه عـلى ركبتيـه، وهـو يكـحّ مـن شـدّة الجـري، فتكلّـم معـه بـدرو:

- واش هـذا لشـفناه، ينعـل بـو والديـه قريـب نبـول عـلى روحـي، علابالـك وقيـلا هـذا خدايـم نسـيم؟ مـكان حتـى تفسـير آخـر، حـابْ يخلعنـا بـاه يقـول نتوبـو... أف واللـه غـير قلبـي خـرج... واش بيـك هـكا أنـتَ؟ أوقـف شـوية نشـوفك؟ راك مليـح؟ هههـه وقيـلا قلبـك حبـس؟ متخفـش مـكان والـو هـذا sur نسـيم يتمسـخ بينـا، ودوك يخرجنـا مـن كاش بلاصـة... هههـه يوسـف يـكْ لابـاس؟

- ينعـل بابـاه وينعـل بابـاك وينعلنـي أنـا؟ هـكا يتمسـخرو نـاس؟ ركبنـي سـكر، واللـه قريـب تغاشـيت هنـا، اللـه لا تربحـو أسـيد... واللـه غـير قلبـي خـرج خـلاص...

رفعـا رأسـهما لتفقـد المنـزل فاتّجهـا إليـه مبصريـن امـرأة جميلـة في العشرينيـات، ماسـكة فنجانهـا أمـام طاولـة تبتسـم لهـما... اقـترب يوسـف ناحيتهـا وهـو يبتسـم فنظـر إلى بـدرو أيـن غمـز لـه، أشـار لـه برأيـه للذّهـاب ناحيتهـا، تـردّد بـدرو وعـلى وجهـه الجدّيـة وحتّـى الخـوف، قائـلا لـه:

- يوسف خطيك، متروحش، ارجع ارجع، راهي منهم.

- منهم؟ كيفاه منهم؟ تعرفها؟ ومن هي؟

- ألا تعرف؟ منهم اسيد! افهم! لا يمكنني قول اسمهم، راك عارف، مسلمين مكتفين...

- أنت موهوم راهي امرأة عادية، ابني ادم كما أنت وأنا، بلحم ودم، وأيضا هل رأيتهم من قبل لتعرفك عليها؟

- ليس لديها ضل، انظر جيدا، يقولوان ليس لديهم الظّلّ...

فتكلمت المرأة قائلة:

- هيا تعالى ادخلا، لا تقلقلا، هيا ادخلا.

رد عليها يوسف بنبرة خبيثة:

- لا نريد ازعاجك، وأنت أمراة وحدك.

- لا تقلقا فأمي في الداخل، وهي تحب الضيوف كثيرا، هيا لا تتردّدا، اتبعاني...

فجأة أشارت إليهما المرأة بابتسامة تعلو شفتيها، فاقترب يوسف وتبعه بدرو من خلفه، حتى وصلا للباب ففتح الباب دخلت المرأة وهما ينظران لبعضهما البعض كأنهما مترددّان بالدخول فدخل يوسف الأول وتبعه بدرو، وحتى دخلا صدى الباب بصوت مرتفع ناظران ورائهما وهذه المرة الخوف ظاهر عليهما حتى على يوسف، راجعان للوراء بخطوات خفيفة، المرأة نظرت لهما مبتسمة، تدور رقبتها، تصعد من الدرج أين أشارت إليهما فتبعاها بصعود الدّرج، اتّجهت نحو النافذة، المرأة فجأة تحوّلت إلى عجوز على شكل وحشة، بأنف كبير بعد أن تدور إليهما... صرخا راجعان للوراء، فصدم يوسف بشيء ما أين سقط أرضا وهو لازال ينظر إلى المرأة المتحوّلة التي لازالت تبتسم وتحرّك رأسها من يمين إلى يسار، بدرو حاول امساك يوسف من يدّه ليساعده على النّهوض وهو لا يبعد ناظره عن المتحوّلة، فينظران لبعضهما أين يحاولان الهروب، راكضان من السلالم، فوجدا المرأة تلك في الدرجة الأخيرة، خائفان، يحاولان الرّجوع من الدّرج بطريقة للوراء، إلى أن دارا راكضان في الدّرج مرّة أخرى فوجداها أمامهما وهي تبتسم، وهذه المرة بدرو يحاول الرجوع في الدرج للوراء إلى التّحت أين يتعثر ويسقط من الدرج وهو يحاول الإمساك بأي شيء إلى أن يصل للأرض، أين وجد نفسه أمام رجلي المرأة وهي تقهقه، نظرتْ إليه منحنية رقبته مبتسمة، فقهقهت بالضحك منه مرّة أخرى، أين تظهر أسنانها السّوداء، ركض إليه يوسف محاولا الامساك بيده ناضرا إلى المرأة المتحوّلة، وهي تقترب أكثر إليهما.

نهضا راكضان ولا يعرفان إلى أي اتجاه يتجهان، ماسكان بعضهما البعض، اتجها للباب

ثـم نظـرا للنافـذة، وأيـن يركضـان تتجـه نحوهـما صارخـة بوجههـما، لاحـظ بـاب غرفـة مـا فاتـح فدخـلاه واغلقـا البـاب ورائهـما بإحـكام وهـما داخـل الغرفـة، مسـندان ظهرهـما عـلى البـاب، يحبسـان أنفسـهما، فيسـمعان المـرأة تـضرب بقـوة عـلى البـاب بقـوة رجـل ضخـم، كلـما تـضرب عـلى البـاب هـما ينفزعـان أكـثر ويرتجفـان، اتجهـا الى الخزانـة والبـاب انفتـح بقـوة، وانـضرب عـلى الجـدار أيـن دخلـت الجنّيـة، تبحـث عنهـما وهـي تشـمّ رائحتهـما قائلـة بصـوت رقيـق تحـاول اظهـار الرقـة والخفـة:

- هيا اخرجا، اخرجا قبل أن اغضب أكثر، لا تعرفان غضبيييييي.

ثـم واصلـت كلامهـا وتكـرّر هـذه المـرة بصـوت مرتفـع وهـي تـضرب رجلهـا عـلى الخزانـة ثـم تـصرخ قائلـة:

- هيا الآن، أخرجا...

صرخـا بخـوف وخاصـة مـع ضربتهـا التـي حرّكـت الخزانـة قليـلا، فاتجهـت نحوهـما بعدمـا سـمعتهما، أيـن تحـرك الخزانـة بيدّيهـا، وهـما يركضـان محاولـين الخـروج مـن الغرفـة صارخـين مـن الخـوف...

ركضـا خـارج الغرفـة، فخـرج لهـما شيء آخـر لم يفهـماه، أهـو رجـل أم امـرأة، وحـش أم جنـي، وأثنـاء ركضهـما هـذا حـاول الإمسـاك بهـما مـن ورائهـما بكلتـا يدّيـه دون أن يتفـوه بـأي كلمـة، نظـرا لبعضهـما أيـن يحـاولان ابتـلاع ريقهـما، وهـو لازال ماسـكا بهـما مـن وراء قميصهـما... لازالا يحـاولان الإفـلات منـه ولا يمكنهـما ذلـك، وكأنهـما لا يسـتطيعان الحركـة، فقـط يحـركان رجليهـما دون جـدوى، فجـأة ظهـرت أمامهـما الجنيـة، تتمعّـن النظـر فيهـما، محاولـة لمـس وجـه يوسـف بيدّهـا ذات الأظافـر الطّويلـة وهـذا الأخـير يحـاول تجنّبهـا، فلمسـته بيدّهـا، وبإيماءتـه يظهـر عليـه الاشـمئزاز، وبـدرو فقـط ينظـر إليـه وحتـى هـو يشـمئّز، فيطلقهـما الجنـي الآخـر وهـو لازال واقف ورائهـما، فـدار باتجاهـه بـدرو منفزعـا أكـثر راجعـا رأسـه للأمـام ليتفـادى النّظـر في عينـه أيـن بلّـل سروالـه، فنظـر إليـه يوسـف مبتلـع ريقـه بصعوبـة وركبتيـه ترتجفـان الآن أكـثر مـن بـدرو، فتكلّمـت الجنّيـة وهـي تنظـر ليوسـف وكأنهـا تحـاول حفـظ ملامحـه:

- لما أنت خائف الآن؟ عندما ضربتني في الشّاطئ لم تكن خائفا والآن أنظر لنفسك.

فرد عليها يوسف والخوف ظاهر عليه:

- أنتَ... أأأ نتَ، أنت هي القطة؟

- أهْمْ، ومن إذن؟ وأيضا دائما كنت معكم في لياليكم، وأيضا حتى في حكاياتكم...

بدرو حاول تذكّر آيات الكرسي دون مقدرة منه، فتمتم، ثم تذكّر القليل قائلا:

- الله لا إلاه إلا، الله، الله لا إلا هو الحي القيوم، الله

فقال يوسف للجنّية والخوف ظاهر عليه:

- اسمحيلي، اسمحيلي اختي والل...

وقبل أن يواصل كلامه قاطعته قائلة بصخرية:

- اختك؟ ماذا دهاك؟ أنا لست باختك، أنا...

وقبل أن تواصل كلامها، انحنَ يوسف أين تمكّن الهروب فتابعه بدروا يركضان، وهي تصرخ بأعلى صوت...

ركضا إلى خارج المنزل، أين سمعا صوت المرأة يدوّي وفجأة عمّ الدّخان المكان، وهما لازالا يركضان فوجدا الكثير من الناس أمامهما وكأنهم أشباح يحاولون الاقتراب إليهما بخطوات ثقيلة، وهما يرجعان للوراء، نظرا للأطراف وهما لازالا يحاولان تذكّر آيات الكرسي أو أية آية، فجأة الحلقة تصغر، هما الآن محاطان من كل الجهات بهم، وكأنه صنعوا دائرة ويوسف وبدرو داخل الدّائرة، لازالوا يقتربون إليهما، يوسف يتمتم بآيات الكرسي، مغمض العينين، مسكه بدرو من يدّه وهو الآخر يحاول التذكّر، وعند الاقتراب الأشباح إليهما تسمّرا أكثر فأغلقا كليهما عينيه، متذكّرا يوسف بعض الكلمات من آيات الكرسي وهو يقرأها، بدرو يحاول أن يفتح عينه قليلا فقليلا ليلاحظ أن الدّخان بدأ يتلاش، والأشخاص نفسهم بدأوا بالتّلاشي ومع بزوغ الفجر يوسف يتذكّر الأية كلّها أين يقرؤها كلّها فيتبخّر الكل، ينظران للوراء أين لا يجدان المنزل، فيصرخان أكثر ركضان دون معرفة إلى أين يتّجهان...

ركضا باتّجاه سيارتهما وهما لازالا يصرخان، يحاولا فتّح الباب، يفتحه يوسف بصعوبة، فيدخل السّيارة، أين يفتح الباب لبدرو، فينطلقان بالسيارة.

يوسف ساق السيارة دون أن يتفوّها بأي كلمة، حتى يسمعا الأذان، فينظرا إلى بعضهما ويقولان في نفس الوقت:

- افففْف، لكن ماهذا؟

فيرد بدرو: والله ربي سطرنا برك.

- والله ربي سطرنا برك.

- قلت لك أن لا ندخل.

- والله لم أفهم أي شيء، كيف حتى تمكنا من الخروج والفرار، أتعرف أحسست أن روحي خرجت منّي، وكأنني تأكّدت من موتي هذه المرة.

فجأة خرج رجل أمامهما يصرخان وهما يتفاداه، فنظرا لبعضهما البعض، أين يشاهداه من مرآة السيارة وهو يبتعد، فضحكا من نفسهما والخوف لاوال ساكنهما، نظر يوسف إلى سروال بدرو فتكلم معه بدرو بجدية:

- والله لن أسمح لك إن قلت لأحد بأنني بللت سروالي، حذاري، هذا ليس فيه شيء يدفع للسخرية...

- ههه أجننت؟ jamais ، ومن قال لك أنني لم أبلل سرواي؟ لكن والله حتى للآن لست مؤمننا بما حدث هناك، أنتظر انتظر لنهاتف نسيم ونروي له ماذا حدث لنا، ربما هو الآن مستيقض ليصلي الفجر...

- ربي يغفر لنا على كل أفعالنا إن شاء الله، والله لن أعود لشرب ولو قطرة منه، ربي يهدينا كما يقول لنا نسيم.

التفت بدرو لوراء الكرسي أين أخذ القارورة الموجودة هناك نظر إليها بتمعّن فتنهّد وقام برميها للخارج واصلين طريقهما...

سهام يحياوي

الأمواج المتلاطمة

أسيل ليست شبيهة بكل الفتيات إنما هي فتاة خلقت من جمال الوردة البيضاء ظهرت في ربيع حياة هشام فجعلت لانفراده معنى شعريا بدلت وحشة أيامه بأنس ولياليه بسكينة والفرح عرفها أيام الطفولة فكان يركض ورائها بين الحقول يتمسك بضفائر شعرها وإذ ذهبت تغتسل بالمياه الغدير تجلس على ضفته تجفف جسدها بأشعة الشمس يأتيها خلسة يبللها بالمياه فتعلو ضحكاتهما بين خرير السواقي يجلسان تحت شجرة السنديان يشكيها أوجاع قلبه فتخبره ما في روحها من أسرار ففكل لقاء يذوب حنينا لشوقها كتشوق الرضيع لذراع أمه فقد كانت صباحه و مساءه ليله و نهاره كبرا على هذا الحب الى ان وصلا ريعان الشباب كانت اسيل و هشام مثال الحب الصادق و الطاهر .

استيقظت صباحا على صوت ما تنشده تسابيح الاطيار و قد لملم الليل أذياله و طلعت الشمس من فوق الأفق و أخدت أشعتها الذهبية تتسلل الى السماء على استحياء إنه صباح يوم أخر يهرع فيه الناس الى اعمالهم و أشغالهم ، رفعت اسيل جسدها الغض بحركة لامبالاة ، جلست على حافة السرير ، و نفشت بكلتى يديها شعرها ، ثم وقفت أمام المرآة ترتبه و أخرجت من بين شفتيها المرسومتان ،إبتسامة جميلة ووقفت أمام النافذة تتأمل تفتح أزهار بعدما كانت مغمضة عيناها. صمت مطبق ، لم تسمع حتى صدى لصوتها المكتوم ، لأنه لم يغادر خاطرها ليصل لجدران الغرفة ، امسكت هاتفها اتصلت بهشام ذاك الرجل الذي عرفته منذ زمن الطفولة ،كان رجلا إستثنائيا بكل المقاييس الرجال ، المطابقة للمواصفات العالمية ، و لكنها أحبته كما لم تحب امرأة من قبل، لم تعرف من أين اتتها السعادة !!

يوم عرفته أم يوم أحبته، أم كل يوم تذكره فيه و تنتظر مكالمة منه ، في كل ساعة و دقيقة. اسيل: صباح الخير هشام كيف حالك هل انت بخير

هشام : صباح النور عزيزتي انا بخير عساك انت بخير

أسيل : الحمد الله بصحة و عافية أخبرتني البارحة بأننا سنتغدى اليوم في المطعم فأين سنلتقي

هشام : انتظريني امام موقف الحافلات ستجيدني واقفا هناك .

اسيل : حسنا الى اللقاء مع السلامة .

التقى هشام باسيل أخبرها بأنه يود مجيء الى ابيها، طالبا يدها لزواج تصبب الحياء

منها و اهتزت فرحا ، بداخلها فكانت دائما تحلم بطقوس الحب ،تجمعها مع حبيب حياتها الذي اخترته منذ عهد الطفولة.

رجعت الى بيت و اخبرت والدتها بانه سياتي بالغد لخطبتها ، جاء الغد يحمل كثيرا من الفرح و احلام التي ترفرف في سماء العشق الابدي ، دق الباب ذهبت الام الى فتح الباب كان هشام و والده والدته يحملان باقة ورود و هدايا رحبت بهم و ادخلتهم الى المنزل.

بعد برهة خرجت اسيل ترتدي ثوب ارجواني، دبح بقطع بلورية ،تسعف الضرير ليعانق زاخاته النورانية، و عيناها تتوهج فرحا ،في صبغة وجهها الملائكي الصبوح، تحمل سينية القهوة، سلمت على عائلته و تبادلوا أطراف الحديث و اتفقوا في حال قبول عرض الزواج يكون حفل الزفاف بعد عام، و هكذا اتفقت عائلتان و انتهى اللقاء برضاء الطرفين.

مرت شهور واسيل في كل مرة تجهز لحفل زواجها ،و الدنيا لا تسعها فرحا الى أن جاء ذاك اليوم المشؤوم، الذي مرضت فيه و صارت طريحة الفراش بين جدران غرفتها لا شيء سوى ألم فظيع، كان الأمر كله مثل ومضة برق ، أتبعها رجة رعد في سماء!! نفسها لكنها لم تمطر ، و كسحابة صيف عابرة ، لا تسقي أرضا و لا تنبت كلأ تحركت يدها الرقيقة بتشنج واضح ، أمسكت هاتفها و أغلقته يجب أن تغلقه ، فهو يأسرها في حدود الرد على هشام ..

مرت أسابيع و اسيل لا ترد على الهاتف فقرر هشام الذهاب الى بيتها ، دق الباب فتحت والدتها .

الام: اهلا هشام كيف حالك و حال والدتك

هشام : انا و كل عائلتي بخير كيف حالك انت يا خالة و ما اخبار اسيل

الام تتنهد تنهد الصعداء و يكاد الدمع ينهمل من عينها ما عساي أقول و نار البكاء قد جفاني و الحزن قد أرق حالي

هشام : ماذا هناك يا خالة

الام: اسيل مرضت منذ شهور أصابها مرض سرطان في الدم و من وقتها و هي تعاني من الالام فضيعة و قاتلة .

هشام : هل يمكن أن ارها يا خالة.

الام: نعم يا إبني تفضل.

طرق الباب ثم دخل غرفتها، أبصر إليها فإذ بوجهها حزين ،و هادئ بنقاب الاصفرار ،تتوجع كعصفور رماه الصياد ،فهبط على الحضيض مرتجفا بألآمه ،طلبت منه اقتراب منها و أخدت يده بيدها ،مرتعشة باردة و بصوت يشبه تأوه جائع لا يقوى على الكلام

قالت:أنظـر إليـا و إسـمعني جيـدا لـكي تفهـم مـا أود أن أقولـه لـك مـن كلام .

نظـر إليهـا و الدمـع لا يفـارق محيـاه، بعدمـا رأى ذاك الجسـم الـذي كانـت ابتسـامة تمـلاه و الحيويـة تغمـره، كان كالسـحابة الرقيقـة التـي توشـح القمـر، والان صـار كبقايـا رمـاد فرقـه الدهـر.

قالـت: لقـد أنهكنـي المـرض و صرت لا أصلـح أن أكـون لـك زوجـة اتخـذ مـن غـيري أنيسـة لـك، فأنـا صـارت حيـاتي مقفـرة بـاردة، يطاردهـا المـوت مـن كل جهـة، إرحـل مـن هنـا فقـد فرقتنـا الاقـدار .

أجباها قائلا: أنا احبك و سأبقى احبك الى نهاية سأخدك وأسافر بك حيث يكون العلاج

ستشـفين و نتـزوج و تعشـين بـين احضـاني المملـوءة بالحـب و الحنـان سـننجب أطفـالا أشـقياء مثلـك و نشـتري بيـت جميـلا فيـه حديقـة كبـيرة نتسـامر فيهـا مسـاء ،فكيـف تودين أن تشـتت أحلامنـا و تجعـلي حبنـا كالألآم خفيـة خرسـاء؟

قالـت بغصـة و حرقـة قلـت إرحـل ففـي الغـد القريـب ستشـيع جنـازتي فـلا تزيـد عـذابي و إرحـل مـن حيـاتي.

قـال: أنظـري إلى تلـك السـحابة ،تحمـل لـك بريـق أمـل ،و صرخ بأعـلى صوتـه خالـة تعـالي و جهـزي فسـتان بنتـك ابيـض، و اكتبـي قائمـة المدعويـن فسـنقيم حفلـة الزفـاف ، ودع اسـيل عـلى امـل أن يتزوجـا و يسـافران مـن أجـل العـلاج.

حـضر هشـام كل ترتيبـات الزفـاف و السـفر مـن أجـل العـلاج و كانـت السـعادة تغمرهـما برغـم مـن كل الظـروف الصعبـة التـي يمـران بهـما بقـي أسـبوع عـلى موعـد الزفـاف وقـد انتهـت كل ترتيبـات و اسـيل تتلقـى مـا بقـي لهـا مـن علاجهـا اولي .

هشـام اِسْـتَأْجَرَ قَـارِب لِيَذْهَـبَ فِي رِحْلَـةِ اسـتجمام قَاصِـد الضِّفَّـة الشِّـمَالِيَّة ، حـين ركَـب القَـارِب اِنْهَمَلَـتْ عَيْنَـاهُ قَـارِب دُمُوعًـا ، تذكَـر حَبِيبَتُـهُ فتّمْنـي أَنْ تُشَـارِكَهُ رِحْلَتَـهُ كَالعَـادَة ، يَلْعَـب بِخصـلَاتِ شَـعْرِهَا ، يُدَاعِبُهَـا وَيُمَازِحُهَـا فَتَعْلُـو ضِحْكَاتُهُـمَا فَيُعَانِـقُ مَـوْجُ البَحْـرِ بِذِرَاعَيْـهِ المَفْتُوحَتَـيْنِ حُبًّهُـمَا فـأي فتـى لا يتبـع قلبـه إلى لجـج البحـر، اذا مـا كان لـه في لجـج البحـر حبيبـة يسـتطيب نكهـة انفاسـها و يسـتلطف ملامـس يديهـا، و يسـتعذب رنـة صوتهـا ، فـكل هـذا كان في أمـس و أمـس حلـم جميـل لم يبقـى منـه سـوى ذكريـات موجعـة ترفـف عـلى أجنحـة القلـب متنهـدة بأسى عـلى أعـماق الصـدر . فلحـد السـاعة مـزال رسـم المـرأة التـي أحبهـا قلبـه معلـق عـلى بلـور مرآتـه وعطرهـا الباريـسي يتضـوع بـين طيـات أثوابـه وصـدى صوتهـا يـرن فأدنيـه . و لكـن يَـلا قَسْـوَةِ الشُّـطْآنِ الَّتِـي لَـمْ تَضُمَّهَـا بَـيْنَ أَحْضَانِـه! وَتَرَكَتْـهُ يُصَـارِعُ لُجَـجَ البَحْـرِ وَضَجِيـجِ الأَمْـوَاجِ المُتَلَاطِمَـةُ وَحْـدَهُ مَاتَـتْ حَبِيبَتُـهُ وَغَـادَرَتْ بِـدُونِ رَجْعَـةٍ.

الزهرة منصوري

الظَّلامُ المُنيرُ

يحين موعد جلسته، يتوجه الي عنبر سبعة ،يمر بتُرهة طويلة مُقَطَّبة الجبين كئيبة كأيامه ، الكلُ علي سُرَرٍ متقابلين ،تعِجُ فوضى الصَّمتِ من كل زاوية فى العنبر، إلا صوتَ ضجيجُ دموعٍ تتساقط من أعين ذاويهم ،حتي الآه تلاشت، باتت لا معني لها من كثرة إلحاحها، فرَّ النَّومُ من أعينهم الذَّابلة، يحضنهم القلق ،يصادقهم الخوفُ، هربت الأحلامُ منهم، أصبحت الأيامُ ورائهم، وهل لِساكني القبور أحلام؟! تبخر الأملُ بين ذفاراتِ الأنفَاس التي تُزهق كل يومٍ واحدة تلو الأخرى، بات كل شيءٍ بلا قيمة، أسلاكٌ متدليةٌ كخيوط العنكبوت ،يخرج منها نيران تكوي أجسادهم النَّحيلة، أصبحت هدايا الزائرين ليست باقة من الزُّهور ؛ بل كيس به(باروكة)، يطلب من ملاك الرحمة أن تغلقَ النَّوافذَ، وتَسدل السَّتائر، لقد أصبح يعيش فى ظلماتِ نفسه، يُخِيفَه الضَّوء كالخفافيش ،تدور عيناه باحثاً عن زميل له، تخبره ملاك الرحمه بأنَّه لم يأتِ، لقد عَرِف بحسه أنَّه ذهب بلا عوده ،سَرِيرَه شاغرٌ لأخر، فلكلُ يذهب ولا يعود، يُغمِض عينيه التي تجمدت فيها الدُّموع، حيث تسكن فى جسدٍ من الثَّلج من كثرة الألآم ،تستغرق الجلسة ساعاتٍ طويلةٍ مُملة كأيامه، يسمع همساتٍ بجانبه يَعقُبها ضحكات غير معتاد عليها فى هذه المقبرة، فيسأل نفسه مَنْ الذي يرتكب تلك الجريمة؟! هل تحيا الموتي بعد الرَّحيل؟! يزيح السِّتار الفاصل بين سَريره والسَّرير الذي بجانبه ،وإذ بعينين دافئتين، وابتسامةٍ مائلةٍ علي شفاة رقيقةٍ، تنظر إليه ،وبصوتٍ عذبٍ رقراقٍ، تُلقي عليه صباح الخير والسَّعادة، ينفجر ضاحكاً من قولها، -أي سعادة تتحدثين عنها، فيتبادلان الحديثَ الطَّويل ،مر الوقتُ سريعاً، لم يشعر به، انتهت من جلستها ،ودعته إلي لقاءٍ آخر، بادلها السَّلام باليد، بعدما بادلها السَّلام الداخلي بقلبه قائلاً: لها وهل يمكن أن يكونَ لنا لقاءٌ أخر ؟! ربما يكون الأخير ! تنظرُ إليه بحماس قائلةً : حبّ الحياةِ يقهرُ أي شيءٍ إن أردتَ .

ما إن قالت هذه العبارة إلا و قد تحول الألمُ إلي أملٍ ،لقد تدربكَ كيانُه ، صار يَعِدُّ الأيامَ لموعد الجلسة التالية ، لقد تحوَّل تبدده إلي تجدّد ،يتبختر في التُّرهة الطَّويلة التي قصرت مع خطواته الصاروخية، لِيري ؛ تلكَ الحورية التي نزلت عليه من السَّماءِ، لقد رأها مُستَلّقيه علي سريرها مستعده لأخذ جرعتها ،ثغرها مبتسم كعادتها ،ألقي عليها التحية نفسها صباح الخير والسعاده ،تلمعُ عيناه مشاورةً بيدها جيد ،تحدثه نفسه وهو مستلِّقي علي سريره يستعد لجرعته أيضا ،لقد أصبحتُ أُومِن بأبيات أمير الشعراء (أحمد شوقي)أنَّ الحبَّ نظرةٌ فإبتسامةٌ فموعدٌ فلقاءٌ، الأساريرُ تظهر علي وجهه ،وها هي ملاكُ الرحمةِ تشعر بالدَّهشةِ عندما تراه ،يطلب منها بصوتٍ رخيمٍ تسمحي أن تفتحي ستائر النَّوافذ، دعي الشَّمس تزورنا ،وتدفء العنبر بقبلاتِ الحياة، لقد دخلت الأنوار الحجرة، بعدما

أشرقت فى قلبه وغيرت أفكاره، وظهر ذلك علي جسده ووجهه ،ينظر إلى حوريته، تتشابك الأصابع ،تتحدث رضابةُ شفاتيها بأسرارٍ لا يعلمها إلا قلبيها انتهت الجلسة، كان معه هدية معتادة لمَنْ يُبتلي بهذا القدر ،أخرج من الكيس باروكة لها، لكنَّها رفضتها تقول له :أنا أتقبَّل نفسي كما هي وأعشقها ،أتمتع بحياتي كما أريد كباقي البشر العاديين ،يتعجب من أين لكِ كل هذا الرضا ،تشاور بيدها إلي قلبِها من هنا ،وبالأخري إلي السَّماءِ، ثم مدَّت يدها وخلعت باروكته من علي رأسه ،أنتَ أجمل بدونها ، - نعم معكِ حقٌ، ثم ألقي بها فى سلة المهملاتِ وألقي معها كل يأس وإكتئاب ،لقد دخل الأمل عنبر سبعة منذ سنواتٍ ،وبات ينشره فى كل ركنٍ و زاويةٍ فى الحياة، بعدما تعاهدا علي لقاءٍ أخر لا يفرق بينهما ،لقاءٌ يُثلج صدرهما ، ويعوض سنين الألم التي بها تحولت الي أمل، وما أن تمرَ عليهما السَّنة إلا وهما مُتوجهان إلي المشفي التي جمعت قلبيهما ،وقد قرَّرا أن يقضيان أول يومٍ فى رمضان فى ذلكَ العنبر الذي تحول اسمه الي (عنبر الحُبِّ) ، أخذان معهما فانوس رمضان والزِّينة باثين روحَ الأملِ والتفاؤلِ بين المرَّضي ،يُعلِقان الزِّينة معاً، يَرفعُ شَعَرِها المتساقطِ علي جبهتها مداعباً لها يَمسحُ عرقِها الذي يُشبِه حباتُ اللؤلؤِ، يَسندها خشيةً عليها وعلي الجنين الذي تحمله بطن تلكَ الحورية ياله من جنينٍ محظوظٍ بهذين الأبوين المتفائلين اللذان تحولت حياتهما بحسن الظَّنِ فى الله والرضا ، يرتديان ثوب الأملِ والتَّفاؤلِ والحُبِّ ،ناثرين إياهم فى كلِ مكانٍ.

هناء محمد أحمد

الوجهُ الآخرُ للحبِّ

حـان وقـت العـودة بعـد أيـام وافتهـا المنيـة سريعًـا، يحمـل الترقـب نعشـها نحـو المقـبرة لتشـييع جثمانها،توادعـا مكرهـين لا مخيرين،تكفـي دموعهـما الهاطلـة المتسـابقة عـلى جفونهـما نـزولاً صـوب الأسـفل أن تغـرق عالمًـا بأكمله،تـأبى أناملهـما المتعانقـة شـغفًا أن يفترقـا كأنهـما خلقتـا لبعضهـما، تـصرخ عروقهـما متألمـة:

-ليس الآن....ليس الآن!

اِختفـت خيـوط الشـمس السـاطع نورهـا خلـف غيمـة حـزن أسـود لونهـا، تضفـي كآبـة تهتـز أجسـادهما مقشـعرة لهـا، تـبرز ملامحهـما حـداد الفـراق المؤجـل لقـاؤه مـرة أخـرى، يقـاس زمنـه بالشـوق بـدل الدقائـق و السـاعات حتـى الأيـام، كذلـك الأسـابيع، ربمـا الشـهور أيضًـا ترافقهـا السـنوات،تعزف عيـون كبـار السـن والعجائـز لحـن الحقـد بينـما هـما متعانقـان يبكيـان يلعنونهما داخـل قـرارة أنفسـهم، يبتسـم البالغـون اليفـع مـن عمرهـم لمـا شـاهدوا مقطعًـا كان حبيـس الأفـلام جـوف التلفـاز أمامهـم حقيقة،تمـردت الكلـمات عليهـما، فعصـت الأحبـال الصوتيـة أوامـر ألقتهـا سـلطة العشـق العليـا لتخـر الاعترافـات سـاجدة تـأبى البـوح متعـثرة عـلى ناصيـة الشـفاه، فـكان العنـاق طريقًـا مختـصرًا بـدل الكلام،تمسـك جيهـان يـده بقـوة، أحـس مـروان بالـدفء رغـم قـوة الزمهريـر، يتنبـأ بقـدوم زخـات مطريـة قويـة تمطرهـا سـماء مقلتيهـما كلـما اقـترب موعـد مغادرتها،جذبهـا إليـه بقـوة امتزجـت آهاتهـما بالنحيـب، تهمـس بصوتهـا الخافـت الملائـكي في أذنـه:

-أحبك يا أروع رجل جادت به أقدار الله نصيبًا لي.

أجابها منعقد اللسان:

-أنا أيضًا يا جنتي بشرت بك قبل الأوان.

نصف ساعة ما تبقى لهما، نطق مروان بصوت يخالجه الحزن:

- لـو كانـت تبـاع ثـواني معـدودة يـا جيهـان لدفعـت ثمـن تذكـرة العـودة إلى ديـاري، مقابـل اقتنائهـا حتـى وإن عـدت أنـا سـيرًا عـلى الأقـدام، عسـاها تنفـخ روحًـا جديـدة تطمـئن رعـب الكيـان. زمجـر السـائق عاليًـا مقاطعًـا سـكينة العاشـقين:

-المرجو من المسافرين أخذ أماكنهم أوشكت لحظة الإقلاع.

يعلـن نهايـة الهدنـة، كأنـه ألقـى لعنـة أصابـت قلبيهـما لتبـدأ قـرع طبـول الخوف،ترتعـش فرائـص جيهـان يحـاول مـروان طمأنـة هلعهـا قليـلاً، أوصى امـرأة تسـافر صـوب وجهـة جيهـان

يجمعهما كرسي واحد متجاورين خيرًا بها، قبل جبينها ثم غادر الحافلة، أدار ظهره لها يجر أذيال الدموع هي أيضًا تفعل نفس الشيء خلفه لم يقوَ على الالتفات، مخالفًا قولة القائل»لا يبكي الرجال أبدًا» وبكى هو ، مسرع الخطوات اختبأ خلف حائط مرحاض عمومي حتى مرت الحافلة أمامه تغادر المحطة، تستقلها قطعة كبده كأنها أخذت روحه معها، آخر ما أبصر تلويحة الوداع قبل أن تحل بينهم ستائر النافذة. عاد أدراجه أيضًا، تفوح منه رائحة زكية خلفها عطرها المنبعث من سترته،تبادرت إلى مخيلته ذكريات قاتلة لم ترأف بحال المسكين، طأطأ رقبته يحمل حقيبة ظهره و علبة صغيرة بيضاء أهدته جيهان إياها تحوي قطع الكعك، كان آخر ذكرى منها حتى يتسنى لهما لقاء آخر يشفي جروحًا غائرة خلفها البعد، رفع مروان أصابعه الخمسة كالمهزوم المستسلم يشير إلى سيارة الأجرة صارخًا:

-تاكسي..تاكسي..تاكسي!

توقفت سيارة على مقربة منه، فتح الباب برقة صعد يلقي التحية، يسأله سائق يظهر محياه صفات الرزانة والشيب زاده وقارًا:

-إلى أين؟

-أي مكان، فقط ابتعد عن هذه المقبرة-يقصد المحطة-

يقاطعه السائق:

-عفوًا...؟

يكمل مروان حديثه:

-نعم هنا دفنت أول جنين أنجبناه بعد مخاض الاشتياق.

-لم أفهم قصدك يا بني؟

-فقط شغل المحرك وارحل أرجوك!

يعاود السائق استجوابه بحثًا عن الحقيقة:

-عيناك حمراوتان من شدة العويل واعذر تطفلي علني أساعدك..ما الذي أبكاك يا بني؟

-الوجه الثاني للحب.

****

زهير بوعزازي

جنون الغرام

امـرأة بـين ظلوعـي عشـقها يـروي ضمئـي وينـير دربي كالشـموع ،امـرأة لـن تجدهـا لا في المـاء ولا عـلى صفحـة السـماء ،لا زهـرة كانـت ولا نـور الضيـاء ،هـي امـرأة طلبتهـا مـن اللـه في السـجود والركـوع ، هـي كانـت شـمس ونـور الطلـوع ،عشـقتها وحلقـت بهـا بـين ذرات الغـرام وأبحـرت بها بسـفينة حبـي عـلى بحـر دموعي،هـي عشـقتني للنخـاع وشربـت مـن زجاجة عشـقي للثمالـة وإلى حـد الخضـوع ،وصلنـا لمرحلـة الارتبـاط والتقيـد بربـاط العشـق المقدس،تلـك الدقيقـة التـي زففـت لهـا خـبر ارتباطـي منهـا لأُتنـسى مهـما حاولـت طمسـها بـين ركام الذكريـات ، عندمـا اخـترت باقـة الـورد اخترتهـا نظـرا لجـمال عينـا معشـوقتي ورقـة محبوبتي،الكـو ن لا يسـعني مـن الفرحـة وأنـا اقـف عنـد المـرآة اربـط ربطـة عنقـي واتخيلهـا هـي مـن تفعـل هـذا ،نظـرة والـدي لي وعيونهـما تشـع فرحـا هاقـد أطـال للـه بعمرهـما ليريـاني بحلتـي السـوداء ،فشـكرا لـك ربي

الوقـت يمـر بسرعـة والقلـب يرفـرف بلهفـة ،العيـون تنسـج قصـص غراميـة والـروح تعيشـها بمثاليـة ،هـا أنـا ذا يـا محبوبتـي سـأطلب يـدك مـن والـدك كي أتـولى مـن هـذه اللحظةرعايتـك صغـيرتي ،فأنـت حبيبتـي فمتـى تصيريـن زوجتـي لم أعـد أقـوى عـلى الانتظـار فقلبـي يحـترق بالنـار هـي نـار العشـق والهيـام فأجـبر بخاطـري ياجبـار

سـلمت عـلى عمـي ودردشـت معـه لم اتذكـر المواضيـع بالضبـط ربمـا كانـت عـلى كـرة القـدم أو عـلى الاقتصـاد أو عـلى.... اه لا أعلـم فعقـلي وقلبـي كان معـك فقـط ،نطـق والـدي أخـيرا طالبـا مـن السـلطان يـد الأمـير....

أتينا بحسب ونسب نطلب يد الكريمة لقرة عيننا

تنهـد والدهـا ومـرر نظـره عـلي كأنـه يقـوم بعمليـة المسـح الضـوئي ،اعتـدل بجلسـته لينطـق لسـانه :

ابنتنـا غاليـة عزيـزة ،هـي نجمـة في السـماء منـيرة ،قـرة عـين تنـير البـصر والبصـيرة ،اعـذرني فحلمـي أن اسـلمها الأمـير يملـك قـصرا وجواهـر وسـيارت وفنـادق وليـس لشـخص فقـير ،أعـذرني صغـيري فليـس لـك عندنـا نصيـب

مهلا يا عقلي ماذا يقول هذا ؟لا أرجوك لا تترجم كلامه فقلبي لا يتحمل...

كانت خلف الباب شعرت بأنفاسها المكتومة وبدقات قلبها المكلومة ،اهدئي صغيرتي....

نطقت بعد صراع مع نفسي ومعركة جرت بين قلبي وعقلي :عفوا عمي،اتقصد...

قاطعني :عذرا بني فلا نصيب لك عندي

قام من مكانه لتنتهي جلستنا ومبارتنا بنتيجة صفر لحلمي وكسرا لقلبي وأكثر من هذا حزن لاغلى شيء عندي...حبيبتي

أبي ابتسم وقال :هذا نصيب

أمي مسحت على رأسي بحنان :سيجبر قلبك ولا تظن أن هذا محال

صرخت بانكسار طفل صغير:تبا للنصيب وسحقا للمال

الأيام تمر بسرعة عقلي توقف عن التفكير ولكن لن أقبل بالهزيمة هي لي وستظل لي أعلم أنها تعشقني هي الاخرى ،انقطعت كل السبل فلا خيار أخر سوى الموت نعم لما الدهشة ان لم تكن لي في حياة الدنيا فستكون لي بالاخرة وهي خير وأبقى

اتفقنا على موعد ربما سيكون آخر موعد لنا في هذه الحياة ،اخترنا المكان وهو عمارة تتكون من ٥ طوابق على الاقل سنرى من خلاله السماء عن قرب ونلامس السحاب ونعانق الضباب بعد ان نحلق ونهوي كريشةحسون أو كورقة خريف.

مسكت بيدها وهي ضغطت على يدي قالت :لأجلك أعيش ولأجلك أموت

تسلل الفرح لقلبي هي تحبني ولن تخاف من الموت كل هذا من أجلي ،ابتسمت و...

أنت الحياة وإن لم تكوني لي فلا حياة لي ،هل أنت مستعدة للقفز ؟

ابتسمت وأومأت برأسها أنعم ،شددت على يدها وأشبعت نظري منها عددت لثلاثة ثم قفزت ،ولكن مهلا هاهي ذي تفلت يدي ،سحقا ،هاهو صوتها يصلني بكلمة عذرا

كنت أسقط من الأعلى للأسفل وقلبي ينزف دما لم أكن أفكر بماذا سأشعر عندما أرتطم بالأرض ولا بما سيحل بوالدي من بعدي وبعد فعلتي هذه، فكل ماكنت أفكر به هو حبيبتي لا بل الخائنة التي وهبة لها حياتي وروحي

رحلت من دنيتي بوصمة عار تحت عنوان تضحية حب ولكن أنا أعتبرها جنون الغرام فعندما نعشق من كل قلوبنا تعمى بصيرتنا فلا نفرق بين الحبيب وبين من يدعي أنه حبيب

كانت تمشي في جنازتي تولول وتلطم وجهها ،تبكي والدمع يغرق مقلتيها ،كل هذا دام ٣ أيام فقط وليس لشهور أو لسنين ،لأنها بعد إنتهائها من تمثيل هذه المسرحية المؤثرة تزوجت من ابن عمها المليونير وأنا....

إذن فالحياة مجرد قطار قادمون منه وذاهبون ولكن تذكر إن أحببت أحب بصمت فلا داعي للجنون وإن كرهت أكره بصمت ربما في قلبه حبا لك يخفون

سيلم سعاد

حب ضاع على وقع خطاك

مرت سنة على آخر لقاء بيننا ، اليوم و بعد مرور كل هذا الوقت ها أنا ذا لا أشعر بشيء ، أو ربما أحسست لكن لم أكترث ؟؟، أو ربما اكترثت ولم أنتبه ؟؟... . لا أعرف حقيقة ماذا حدث في تلك الثواني التي نظر كل منا في وجه الآخر ؟؟، هل تشتّت ؟هل ضعت؟... كما كنت أضيع في السابق.

الحقيقة لم أقو على الموقف ، والموقف تسلّل من الوقت في حين غرة ولم يعد له قيمة ولا غاية تُرجى.

كم كانت نظراته لئيمة ، وكم كان قلبي ينزف لؤما وحقدا على الزمن والظروف ، كم ظلمتنا الأيام وكم غافلتنا تلك الأيام الجميلة لتذهب دون رجعة ، وكم كانت الأيام لطيفة معي بالمقابل لأنها أظهرت حقيقتك وجعلتني أفيق من تلك الأحلام الوردية وفراش الحرير ووسادة الريش المريحة ، كم أتعبتني الأيام بالمقابل ، وكم جعلت جرحي ينزف وعقلي لا ينقطع عن التفكير والسؤال دوما و أبدا :»لماذا انفصلنا ، ولم لم تعد تريدني زوجة لك بعدما كنت خير جليس ونعم الرفيقة ؟؟؟.

منذ ذلك اليوم وأنا لا أنفك أفكر في آخر جملة قلتها في المحكمة:

«أنا لا أريدها بعد الآن و انتهى ما كان بيننا».

انتهى أو لم ينته غير مهم ، كل ما يهم هو أنني هنا أنظر في عينيك كما نظرت أول مرة ، بكبرياء متعالي ونظرة حادة ودقات قلب غير منتظمة .

أخذت جُلّ الطريق وأنا أخمن في كل ما حدث ويحدث ، إلى أن استوقفني صوت ما ميّزته ولم أعرفه

-سلمى توقفي ، أريد أن أتكلم معك.

-هل هذا أنت ؟؟ماذا تريد مني ؟.

-لا أريد شيئا ، فقط أريد أن أعلمك أنني استأجرت بيتا هنا في الحي ، أتمنى ألّا يزعجك الأمر.

-»(بابتسامة قاسية)لا، لم سيزعجني الأمر ، افعل ما تريد «.

انسحبت من المكان في صمت رهيب ، وتركته ربما يصرخ صخبا كما صرخت يوما ما دون أن يكترث لمشاعري أحد ....

فلنترك العيون تتكلم بدل الكلمات...

-بيني وبينك عبرة شارع، أنا لا أستطيع المضي نحوك وأنت لا تستطيع أن تتجرد من كبريائك لتبحث عني وتجدني .أهكذا أصبحنا؟؟.

- الغريب ، أنني أراك تقطعين الشارع ، هكذا تنظرين في ازدراء دون أن تكترثي بما يحدث في صدري من ألم ومواجع ، والأغرب أنني أطل عليك وبيتك يطل على شقتي ولا أحد يرى الثاني ...أترانا غير مرئيين ؟؟.

- أنا على الشرفة أراقبك لكن لا أستطيع النظر مطولا خوفا من أن يلتقطني جفاؤك ، فأهرول من كنبة إلى كنبة أريد الاختباء وأحيانا أراك عند العتبة لا تستطيع أن تقرب من باحتي حتى.

- كبرت المسافات بيني وبينك وعلى ما أظن أن الشارع أصبح ساحة رحى ، واليوم أصبحت بيني وبينك العديد من الجمرات.

- جمرة بيني وبينك تؤذيك وتحرقني كما احترق الماضي وكل شيء أبشع من هذا وذاك ، ماذا سيحصل بعد ؟؟.

-على ما أظن لن يحدث شيء آخر أكثر من أنني سأتناثر مجددا كما تناثرت تلك الشعيرات من عباد شمس ربيع جميل ،هكذا مع نسيم عابر لا يعرف مساره بعد.

-غريب،كيف أصبحنا هكذا ؟؟صدقا لا أعرف وإن وجدت إجابة سأبقيها لنفسي عزاء الأيام والليالي ، كم تعاطفت مع نفسي حينها ؟؟حين وليت ظهرك دون مبررات ، كم بررت لنفسي ذلك الجفاء ، وكم عزّيت نفسي بالغد الأفضل ؟.

-لا أعلم كيف مرت الأيام الجميلة وانقضت هكذا في عجالة ؟؟.

-تبا كم كنت بلهاء ، عندما وليتَ ظهرك واختفيت ، كم بحثت عن نفسي في كل مكان حتى في عبرة ذلك الشارع حيث قررتَ الذهاب دون وداع بل اكتفيت برمي ورقة في وجهي ، قلت في نفسي آنذاك :لو أنني صرخت باسمك بأعلى صوتي وقلت لا ترحل ، ماذا كان ليحصل ؟.

-لم لم تستوقفينني ؟؟.

-نادتك الآهات ونادتك الجوارح الناطقة وغير الناطقة ولم تستدر .

-لم أستدر ، ولكن مازالت رائحة عطرك تفوح من أيامي لحدّ اللّحظة، مهما ولّيت ظهري وركضت بعيدا مازلت أذكر كل تفصيل غضبك ، ابتسامتك ، ملامحك وكل شيء ...أ كل هذا دليل على النهاية؟؟....لا أظن .

-ملامحي التي لطالما انتظرتك على ذلك المقعد حتى شاخت ؟، أم غضبي الذي خبّأته بتلك الابتسامة المستعارة ؟؟.من أين أبدأ ؟؟.

- لا تكوني قاسية، وتعالي لنعبر ذلك الشارع دون أن نتمتم تعاويذ الكره والحقد.

- سأعبر ، لكن بمفردي فلا تتكبد عناء شيء لا يليق بك وانزع قناع الندم، فأنا لست بحاجته بعد اليوم فقط لا تعترض خطاي ، فلطالما حبنا ضاع على وقع تلك الخطى، وهذا كاف لحد الساعة.

خولة عوري

رائحةُ نَيْسان

أربعونَ سنةً مرّت على آخر يوم كنت على قيد الحياة ، ما زلت أشمُّ رائحة أوّل كرةٍ اشتريتها، أوَّل سقوطٍ لي من الدراجة، كيف كنت أصْحُوا صباحًا على صوت أمِّي ‹‹حمُّودة نوض أ ماما راحْ عليك الحَال›› مازلت اذكرُ رائحة يوم تخرُّجي من الكليَّة. كان عمري واحدٌ و عشرون، و عمرُ عقلي خمسون ، حتى أنَّني بلغت الأربعين و قلْتُ ربِّ انِّي تُبْتُ الآن.

كنت أعمقَ من أي شخصٍ مِنْ أبناء جيلي، حكيمًا كفايةً حينَ تسألني أمِّي عنْ نوعيةِ الأكل المُتهرِّئ في الجامعة فأقول: والله عَايْشِينْ رَحمة ربِّي مَاكْلَة هَايْلة مايخصنا والو. أذكرُ كيف كان أصدقائي أيَّام الشباب يصفونني بقديم الطراز، لأنِّي كنت أهتم كثيرًا بالأشياء المعنوية ، أُؤْمن أنّنَي بالروح إنسان، و إلّا فلا فرق بيننا والحيوان. أذكرُ أنّه كان لي درجٌ بمكتبي أحتفظ فيه بأشياء مهمة و روحية كمصحفٍ قديم و سلسلةٍ حديديةٍ صغيرة لجدي. و كان لي أيضًا كراسُ يومياتٍ يلازمني أيام الجامعةِ أحتفظ فيه في الصفحة الرابعة و الستين بصورةٍ لأبي أكتب بِهِ أشياء أعتبرها مهمة دون الآخرين كتواريخ تعرفي و حديثي مع بعضِ الأشخاص. بمجرَّد أنْ أفتحه أحسُّ الأحاسيسَ ذاتَها، الرائحةَ و الشعور.

الإنسانُ الصامتُ كثيرُ ضجيج القلب و العقل، دائما ما يكون خروف فداء يضيعُ حقّه بين الآخرين. لطالما أردتُ أنْ أصرخ « أنا هنا..أنا موجود» كلّ ذلك جعلني أتعلّم كيف أكون شخصًا حكيمًا قويَّ الشَّخصية و الكاريزما، تعلّمت الثِقة بنفسي، تعملّتُ الرّجولة و الشّهامة وكيف أصنعُ إسمي بين الرِّجال. تعلّمت كل هذا، لكن لم أتعلّم شيئًا واحدًا بعد، كيفَ أكونُ مثلَ الآخرين؟! غير مبالين، همُّهم عيشُ يومهم كأنّه لا وجودَ للغدّ. لكنّهم بالمقابل ناقمون على الحَياة لأنّهم لا يعلمون فضاعة الشوقِ، مرارة البعد و الفراق، آه كم الدنيا قاسية.

وَ منَ الحبّ مَا قتل أو ما دفعَ الى جرفِ الجنون فإذا سألْتَ عني تجدُنِي تمامًا في عتمةِ تلك الهاوية. ما عليك إلّا أنْ تقع في حبّ امرأةٍ و شاهد التغيير، فبعد مدّة حتّى أنتَ لنْ تتعرّف على نفسك، تفعلُ أشياءً لم تفكّر يومًا أنّك قادرٌ على فعلها، تصبح لديكَ عاداتٍ ما كانت لك مِن قبلُ، فتتحمَّل مِن أجلها أشياءً لم تكن تطيقها، اِنّه ‹‹الهْبال›› بحدّ عينِهِ !

أمّا إذا كنتَ حَديثَ عهدٍ بالحبّ فكلّ شئ يبدأ بالخوف، الشوق، و خاصة الغيرة فمَا تلبثُ أنْ تكتشفَ أنّك قدْ وقعتَ في براثن العشق، فأين المفر؟

أذكرُ أنني صباحَ ذات نيسان كنتُ أشعثَ أغبرَ، عندما أطلّت أحسستُ بقوّة ‹‹بوباي›› عند أكلِه ‹› السبانخ ‹›، فوالله أنّني كدتُ أرَى النّور يشعّ مِن وجهها، فكأنّها طاووس من

طواويـس الجنـةِ أو حوريـة مِـن ألـف ليلـةٍ و ليلـة. حينهـا كتبْـتُ :

أَطَلَّتْ تَمْشِي مِشْيَة الخَجَلِ

مَلِكَةٌ تَخْتَالُ مَهْلًا عَلَى مَهْل

أَطَلَّ الحَيَاءُ أَسْوَدُ المُقَلِ

ضَاقَ قَلْبِي .. به عِبءٌ ثقِيلُ الحَمْلِ

إلهي، إلهي..

دَاويني شَافِيَ الأسقامِ، شافِيَ العِلَلِ

بَعـدَ رحيلهـا أصبحْـتُ زاهـدًا في الحيـاة، ربَّمـا سـتكونُ سـببَ دخـولي الجنّـة، لأنّ كلّ شـئ حـدث و يَحـدُث مَـا هـو إلّا لسـبب معـيّن. وهبـتُ لهـا أربعـين عامًـا، أربعـون سـنة مـن الوفـاء. فـما نظَـرتُ إلى امـرأة بعدهـا، كلّ النّسـاء أراهـنّ حمقـاوات يطفـينَ عـلى السـطح، همّهـن العبثُ و عيـشُ الحيـاة، لكنّهـا كانـت مختلفـة، عنـد رؤيتهـا للمـرّة الأولى أوّل مـا يبـادر ذهنـك أنْ تغـوصَ و تستكشـفها، لا أَعلَـم إن كان سـيأتي مَـن مثلهـا إلى هـذه الحيـاة، أشـكّ في ذلـك، بـلْ أجْـزم أنّـه لـنْ يكـون. كانـتْ عـذْراء القلـب نقيّـة المشـاعر، كلمـةٌ منْهـا قـادرةٌ عـلى اللعـب بأوتـار قلبـي، رشـفة مِـن كُحـلِ عينيهـا تدخلنـي دهاليـز الهُيـام. فقـطْ الآن تأكّـدْت مِـن مقولـة ناديـا توينـي ‹›بعـد عـشرون عامًـا سـتندم عـلى الأشـياء التـي لم تفعلهـا›› لأننـي ندمْـتُ مرّتـين بعـدَ أربعـين عامًـا. مثـلَ ‹›روز داوْسـن›› صورتهـا كصُـورة ‹›جـاك›› محفـورةٌ فقـطْ في ذاكـرتي. آه يـا خجـول، يـا خجـول!

قرأتُ ذات مرّة ‹› في عمر مَا ستعرف، أنّ الإحترام أهمّ مِن الحبّ، و التفاهم أهمّ من التّناسب، الثقة أهمّ مِن الغيرة و الصبر أعظم دليلٍ على التضحية، عَداه لا شئ ‹› كنت أحترمها حدًّ الحشمة، أحبّها حدًّ الوفاء، كانت توأم روحي نتناسبُ و نتناغمُ كراقصي سَالْسَا معصوبي العينين، أثق بِها و أغارُ عليها، أمّا الصبرُ و التضحية فالحكمُ حكمكم، فأن تضلَّ وفيّا رغم الموت أو الفراق هو قانون العشق الحادي و الأربعون، لم أتزوّجها لكن لم أتزوّج بعدها و لا قبلها، رغم ذلك أنجبت لي بنتا لم تلدها، إسمُها ‹› بيكينام ‹› إسمٌ فارسي يعني العفيفة آسرة العيون. لم تكن ‹› بيكي ‹› طفلة كسائرِ البنات، لم تكن عيناها زُرْقًا و لا خُضْرًا، لكنّها تملك أكثر العيون أسرًا، أكثرها خجلاً و تعبيرًا، لا تدري أعيناها حقيقة أَمْ حلم، إذا أطلْت النظر بهِما تحسُّ المَوجَ الأسود يناديك نحو الأعمق، فتصَاب بالثّمالة و تغرق كما غرقتُ أنا قبل أربعين عامًا.

تعلمـتُ أنْ أكـون الأمّ قبـل الأب، و وقـت عمـلي كنـتُ أتركُهـا مـع الحاضنـة، قـد تقولـون أنّنـي قـاسي القلـب لكـن أفضـل مِـن بشـاعَةِ حيـاةِ الميتـم الـذي كانـت تعيـش بـه، و بمـا أنـه لا يوجـد قانـون بالعـالم يسـمح لأعـزب بتبنـي طفـل فقـد دفعـتُ الكثـير حتّـى نلـتُ هـذا الـشرف.

أعيش الآن الوقت الضائع مِن حياتي، أربعون سنة مِنَ التدخين كفيلةٌ أنْ يشخّص الأطباءُ مرضي على أنّه سرطان رئةٍ متقدّم. أدمنتُ التدخين و اعتزلتُ العالم بعد ذهابها، جمعنا القدر و فرّقنا القدر. لم يتبقّى إلا أيّامٌ قليلة على رحيلي، لكنّني متحمسٌ لأنّه عند الموت يمرُّ شريط حياتنا كلّه أمام أعيننا، أخيراً سأراها فقد اشتقت إليها كثيرًا يا الهي، أريد تذكر أيّامي الجميلة، أيام خجلنا، تكابرنا و صمتنا. أريد تذكّر أيّام الأحلام الزاهية لمستقبل لمْ يكن، بعدَ أن كان التخطيط للمستقبل أكبر همِّي.

فاضَت روحي عشقا و ضحّيت بحَياتي شوقا، لكِن لوْ كانت هناك حياة موازية لاخترتُ أنْ أعيش الحياة ذاتها فلستُ نادمًا على شئ في الأخير. شكرًا للقدر الذي جَمعنا وشكرًا للمكتوب الذي كتب لنا اللقاء، يا أنقى شئٍ حدث في حياتي.

و كما يقولُ شيخُ العاشقين نزار قباني: لا علاقة حبّ بيننا لكن أحبُّ حديثك و أهتم بك و أتمنى رؤيتك و أغار عليك و أراقب نومك و صَحوك، لكنّي لا أريدك حبيب فالأحبّة راحلون. ربّما هو تأثري بفلسفة نزار الزائدة أو قلّة شجاعتي، لكنّها قصَّة رجلٍ أرادها زوجة قبل أن تكون حبيبة، و حبيبة قبل أن تكون زوجة فضاع عليه الحبّ و الزواج.

أتراها تناقضات قلبٍ و خواطرُ قلم، أم هي رائحة الموت ؟!

وداعًا سري الصغير، وداعًا ..

أحمد عبد الملك

زخات الحب

سرقها النوم مني من جديد ،أخذ حبيبتي لأحلام غير أحلامي وحديثا غير حديثي ، تنام بهدوء ،مثل براءة طفلة جميلة ،غفت رموشها بعد لحن داعب صباغ أذنها ،ومال شعرها وانساب فوقها ،حتى غطى وجهها الوضاء الجميل ،بينما أقف أمامها ،أتأمل حسن زوجتي ،وأفكر في لقاءها ،أماني وصدف ،تتقاسمها الأحاديث الخافتة التي في فؤادي عنها ، بينما هي في نومها العميق ،وثبت نفسي قربها ،كالأنيس الذي أحب قرب و دفئ موقد الحب من جديد ، ألتهم اللحظات معها ،وأنا أطيل النظر فيها ،اغوص في سكون ملامحها ،وتارة أضع كفي بكفها ،فتسمكها دون تردد بشدة ،وتهمس قائلة لي والنوم آخذها بدفة ،تعال معي عزيزي ،فأتبسم وأنا جليسها الذي حضر بلحظة ،تتهافت الأماني في الصدر ،ويعثو الليل في ظلامه حلكة أخرى ،تتجاذف فيه الروح لروحها ،وتتعانقى في برزخ الدنيا ،بحبل متين كحب صادق ملأ دجى السماء ، كنظرة عميقة تلاشت في لقاء وصدفة ،مرت الهنيهات سريعا مثل وميض شطر فضاء مظلم بنوره الساطع، ليجعل خيوط القمر تنهمر وتسقط على حضائض أرض ، وعلى سيول عابرة ،تمسح خرير مائها المتدفق ،كأنك فوق غسن شجرة يعلو نهرا جاري ،وتتلاطمك أمواجه برغبة ،ويوحي للجميلة أن تغفو من مضجعها مرة أخرى ،وتعلو الأبصار لنفسها ،آخذة قطع الجسد معها ،حتى وجدتني أمامها ،بملامح شاب يحدق بنظرات مطولة ،احمرت وجنتاها وقالت :احمد ألم تنم ؟،ولما لست بفراشك ؟ ضحكت لعجلها وقلت لها : ألا يحق لي النظر لزوجتي وهي نائمة ؟ زاد حياءها حمرة ووجهها وردة تتفتح ،وقالت بصمت يعلوه الخجل نعم إنه من حقك ،واردفت قائلة :لكنك متعب ومرهق وانا أخشى عليك المرض ، قلت لها وأنا أمسك يداها بشوق أقرب من حبل الوريد : ياحبيبة قلبي ،يارجفة عشق ارتوى بها فؤادي ، ياقطعة روح أمسكت جسدي ،يا لحظة عمر فان وفيك لا أفنى ، يا كلمة عانق حبر قلم وكتبها في صدفة قلب نبض ،إن التعب في حضرتك تلاشى واصبح هباء واندثر ،وفي غيابك جبل يثقلني بشوقه ويكسر جسد قوى وعثر ،والحق إنك لباسي وراحتي ،ورغبتي وحلمي ،وأجلي ويومي ،تبسمت بفرح وعيناها التقتى بعينايا برهفه ،حتى القت نفسها بحب ،تعانق صدري وتمسكني بشدة ،وتقول : أنت عزيزي ،وحياتي ،ونبض فؤادي وروحي التي تغلغل في أجزائي ،أنت لحظتي المفرطة وسكون ضجيجي ، وخلسة بريئة وحلالي الذي غفى في سجدة ،أنت شوقي ولهفتي ،وعناق أطال بجسدي ،ومضجع قلبي ومأوى حبي ولقائي ،أنت ملاذي الذي تهواه أنفاسي ، بادلتها العناق الذي حمل جسدان وروح واحدة ،وقلبان ونبض واحد ،زوجان عانقى الحب معا ،وعاشقان تبادلا المحبة ، وشابان حملتهما قطعة في عالم موشح بكون يتسع ،في نهار سلب معاشه نور مشرق ،وكتب القدر لحظات بأجل ،قلت لها وهي تعانقني : أنت حياتي للأبد .

في تقاسيم صباح يشرق ،تناثرت أنواره على سطوح تلك البيوت القصديرية ،وانسابت على نوافذها المسيجة بأزهار اللوتس المعبقة بجمالها السحري ،حتى عطرها يبلغ فاه رجل جاء يسعى من بعيد ،وتنصت الآذان لتغريدات بلغ الغصن المائل ،الذي تلون بحلى تقبع في أنهار عميقة ،فكانت سيدة قلبي تتمدد على سريرها ،وشعرها الحريري قد تخلله لون بني وأسود قاتم ،عيناها زخات لؤلؤ تناثر هنا وهناك ،كأن حورية جنات عدن تدلت على فراشها وحولها ولدان يتجولون ،فسكنت عيناي لها ،تملأهما نظرات الحب وتلمع في مقلتاهما عشقا سرمديا زاح عني ،بعد هنيهة من جلوس وخطى متروكة ناحية فناء البيت ،جلسنا جلوس العجائز تحت سقف الزواج ،وبيننا رباط الحب يدفعنا لبعض ،نظراتنا تشبه نظرات وداعة طفلين تعلقى بقمر منير يعدو للظلمة ،فالأرواح تتعانق في غياهب الحب ،تلامس خيط القدر لتنسج صدفا تواعدت سلفا لتجمعها من جديد ،فكل قطرة حب غمس قلبي نبضه فيها فسارت في شرايينه ،فتعدى الهوى لقلب آخر يتنفسه كل ردهة ،فكانت تطل من النافذة ،أنظارها تبصر الوجود الذي أمامنا ،وعقاصها زينة رباط أسود ،وتدلى على كتفها يغطي وشاحها ،حتى هالة الحسن تلف وجهها ،آه منها ما هي إلا قطعة قمر سقطت أمامي ،إلا شظة بركان لامعة لاحت بين فهواتنا ،إلا لؤلؤة تشبع ببهائها تحت طبقات نهر جاري ،إلا لمحة من ريح بها نسائم الأمل ،فلامست وجهينا بعبير المعطر ،كل نظراتها تشق على صدري وتقبله بلهفة ،وتسرح في عقلي بذكراها فتدفع دفاته إلى تجسيد ذكرانا التي مالت ميول ظل شجر زيتون مسنون ،إنها روح تدفقت بعذبها فحظيت برجفة منها لتروي فاه وفؤادي بعجل ...

قلت لها : يا ذات الخجل ، يا سماء أرضي حين أهرول لك بعجل، يا معبقة وردي الذي نبت بواد ذي زرع ،يا شمس أطلت علي في ضحاها أشرقت بعجب ،ياذات عيون غزل نام تحت وقع حفيف ورق طائر ، إننا نجري في درب واحد ،نمسك بعضنا بعض بشده ،تسيرنا رغباتنا في رهفة ونفس تغلغل دواخلنا بلهفة ،كلما تذكرت الأيام الخوالي ،نسج العقل غطاء أبيض ،وإن كان بصدري حبك كلاما أحمر ،وإن كان بقلم كتب شعرا ونثرا لا ينته ،فكنت المراهق التي تيم بك ،والشاب الذي وقع في حبك حين تاب ،والطفل الذي عانق صورتك ،كأنه تعلق بأم ضاعت منه من زمن ،والرجل الذي كنت لباسه وسنده وروحه التي خفت في ثناياه ،أنا أكثر من كل هؤلاء ...

تبسمت واحمرت وجنتاها ،ونظرت إلي برغبة شطرت اللحظات ،وسكنت فيها الرهفات .

وقالت : أنت نبض سقط بقلبي ،فأحياه في ليل حالك ،كنت أظنه لن ينجلي ،بعد يأس وخزني وألم بعثرني ،بعد حلم ذهب وحياة ضاقت ونفس ضنكت ،كنت الملاذ الذي أزاح تلك التراكمات من فوقي ،كنت اليد التي لم تفلتني في كل لحظة ،والنفس الهادئ ،والغطاء الناعم

،والأمـل المتجـدد ،أنـت حبـا أطاعتـه روحـي وغضعـت لـه مكامنـي وارتاحـت لـه أجـزائي وسـعدت بـه أنفـاسي وأهـات ،أنـت الـكل الـذي دخـل فجـوات حيـاتي التعيسـة وحـال بينهـا وبينهـا وبنـى لي حلـما غـدوت فيـه أمـيرة ،مثـل اللؤلـؤ المكنـون الـذي فسـح في حضيـض أرض ،في عـلا سـماء زرقـاء زخرفـت بنجـوم تـبرق برهـف وبهـا طـير مطـر تجـول ،وسـحاب أحمـر انتـشر ،أنـت كلي الـذي لـن ينفصـل ...

ضحكـت بخفـوت ،وقلـت لهـا : نحـن كذلـك عزيـزتي ،حفظـك اللـه لي للأبـد ،قالـت :بوقـار وخجـل لا يتركهـا ،آمـين يـارب

أحمد الشافعي مالكي

سرحت بخيالها

الفصل الأول : إن كيدهن لعظيم ..

- «فـراس الديـن» مـن كبـار رجـال الأعـمال في المنطقـة ، عـرف بثرائـه الفاحـش ، و بزوجتـه الشريـرة العاقـر .. « خالـدة» .. زوج « فـراس» منـذ عشريـن سـنة ، كانـت ابنـة ألـد منافسـيه الـذي تـوفي اثـر جلطـة قلبيـة بسـبب خسـارته لصفقـة هامـة أمـام « فـراس» ، التقـى بهـا و أختهـا «أسـماء» في عـزاء والدهـما .. أثـارت شـخصيته الراقيـة إعجـاب « خالـدة» الفـذة فقـررت الظفـر بقلبـه إلا أن درجـة جمالهـا المتدنيـة و أسـلوبها الركيـك لم يخولانهـا حجـز ربـع انـش في قلبـه .. فقـررت اللجـوء إلى السـحر و الشـعوذة .. أسـهل طريقـة لسـلب مـا ليـس لهـا .. تزوجهـا رغـما عـن انفـه .. لازمتـه عشريـن سـنة دون أن تنجـب لـه ذريـة و لم يسـتطع التخلـص منهـا فأعـمال السـحر كانـت أقـوى منـه و منهـا ..

حـين بلـغ «فـراس » مـن عمـر الشـباب عتيـا ، قـرر أن يتـزوج ثانيـة تهديـه وريثـا ، فكانـت لـه «خالدة»بالمرصـاد ، فقـد كانـت و «أسـماء» تأتلفـان عـلى طـرد جميـع النسـاء الـلاتي كان يتقـدم زوجهـا لخطبتهـن .

أكـثر أعمالهـا السـحرية التـي تكلـم فيهـا العـام و الخـاص كانـت موجهـة ل « تقـوى» ابنـة عـم «فـراس » ؛ ففـي يـوم مـن الأيـام جالسـها الـزوج وصارحهـا انـه تقـدم لطلـب يـد « تقـوى» و وافقـت ؛ ابتسـمت «خالدة»وقالـت : و أخـيرا سـتصبح أبـا و أصبـح أنـا أمـا ، تقبلـت الخـبر بصـدر رحـب و لم يبـدر منهـا سـوى الـكلام الطيـب المرحـب بضرتهـا و ربيبهـا المسـتقبلي ، إلا أن مـا خفيـك كان أعظـم ..

حـين بلـج صبـح اليـوم التـالي اتفقـت «خالـدة»و « أسـماء» عـلى الذهـاب عنـد الأبـار و ابتيـاع نـوع خـاص مـن الإبـر صنـع بطلـب منهـا لممارسـة أعمالهـا الشـيطانية ، و سرعـان مـا ابتـدر الأبـار صناعتهـا .... مارسـت طقوسـها الغريبـة الخاصـة بواسـطة تلـك الإبـر الجهنميـة و تخلصـت مـن «تقـوى» التـي أكلـت البلابـل عقلهـا و أضعفـت بدنهـا إلى أن لاقـت حتفهـا..

واصلـت «خالدة»بهاتـه الطريقـة عشريـن سـنة ، مغلقـة التجويـف الصغـير الـذي كان يصـدر منـه بصيـص الأمـل بـان يصبـح «فـراس » والـدا يومـا ؛ فلـم تـرض امـرأة بالـزواج بـه بعـد الخـبر الـذي شـاع حـول « تقـوى « ، لم تـرض الأرامـل ، ولا العازبـات ، ولا العوانـس بقبـول ملـك في مقامـه .. الـكل يخـاف عـن مصـيره الـذي أضحـى معلومـا.

لم ينتبـه «فـراس الديـن» إلى « مـرام» شريكتـه في العمـل .. امـرأة واثقـة ، مقدامـة ، سـخية ، جميلـة ، صلبـة الشـخصية ، قويـة الإيمـان ، بـارة بوالدهـا، طيبـة ، و الأهـم عـذراء و لم يسـبق

لهـا الـزواج قبـلا .. كان «فـراس » يقـص عليهـا الأعـمال الشـنيعة لزوجتـه و يشـكوها دائمـا و قـد كانـت ملكـة الإصغـاء بحـق و كانـت إجاباتهـا شـافية لغلـه مريحـة لبالـه ، كانـت دائمـة القـول إن أحبتـك إحداهـن فلـن تخـاف عـلى مصيرهـا ، بـل سـتضحي بالنفـس و النفيـس لقـاء مسـاعدتك و الوقـوف جنبـك ، فـلا تقلـق و واصـل البحـث .....

زادت أعـمال الزوجـة الخبيثـة و زاد الرابـط بـين « مـرام» و « فـارس» الى أن خيـم الحـب عـلى علاقتهـما مـا دفـع ب «فـراس الديـن» اخـذ قـرار للـزواج بهـا فهـي الأمثـل لمشـاطرته مـا بقـي مـن حياتـه .. اتصـل بهـا يومـا و طلـب لقاءهـا .. لم تـتردد كعادتهـا لقبـول دعوتـه ظنـا منهـا انـه يأتيهـا بشـكوى احـدث مـن سـابقتها .. تدخـل «مـرام» المطعـم مرتديـة فسـتانا ابيضـا يكنـس الأرض مـن خلفهـا .. الشـموع تمـلأ المـكان .. موسـيقى كلاسـيكية هادئـة .. جـو ولا بالأحـلام .. «فـراس » جالـس عـلى ركبتـه ، يحمـل في يـده علبـة فيهـا خاتـم المـاسي فخـم و يقـول : مرامـي في الحيـاة أن يرثنـي ابنـك المسـتقبلي فهـل تقبلـين أن أعطيـه اسـمي .. « مـرام» ، هـل تقبلـين الـزواج بي؟

الفصل الثاني : المكيدة ..

- بعـد يـوم مضنـي مـن العمـل اسـتقل «لـؤي» سـيارته الفاخـرة محـددا وجهتـه المعتـادة إلى المنـزل لنيـل

قسـط مـن الراحـة في الجـزء المتبقـي مـن الليـل ، إذ انـه يقـضي عشريـن سـاعة في المكتـب فهـو يقـدس العمـل أكـثر مـن الفـروض الدينيـة ، سـاعيا لرفـع مسـتوى شركتـه التـي ورث إدارتهـا عـن والـده حيـث انـه بكـره ، صغـيره بـل و وحيـده الـذي أهـداه اللـه لـه بعـد طـول انتظـار ، انتظـار دام عشريـن سـنة مـن الوحـدة و المعانـات ، ليتكلـل أخـيرا بولـد أبي مترفـع عـن مـلاذ الدنيـا ، متكـبر بسـبب مكانتـه التـي كـد لجعلهـا تبـدو عـلى مـا هـي عليـه ، شـغله الشـاغل أن يكسـب ود أبيـه و يغنيـه عـن تعـب العمـل فيكـون لـه أحسـن خليفـة . . في طريـق العـودة و الليـل حالـك و الرؤيـة محجوبـة ، عينـا السـيارة يشـعان نـورا يخـترق الظـلام الدامـس الموحـش وينـيران دربهـا . . يلمـح «لـؤي» عـلى قارعـة الطريـق امـرأة تحتضـن في دفئهـا شـبلا صغـيرا مـن أشـبال الأمـة تشـير بإصبعهـا إلى سـيارات المـارة عـل احـد السـائقين يرضـخ لإشـارتها و يقلهـا ، بالإضافـة إلى حسـناء في نصـف قامـة المـرأة تقـف بمحاذاتهـا منتصبـة لا حـراك و لا كلام يلبـد هدوءهـا ، فاتـأد قليـلا في سـياقته ليعايـن مـا تـراه عيناه ، فمـن الغريـب وجـود عائلـة خارجـا في ذلـك الوقـت . . لم يلفـت «لـؤي» كـون المـرأة تقـف بابنهـا في منتصـف الليـل خارجـا و لا الحـزن الـذي تـرك بصمتـه الحـادة عـلى تقاسـيم وجههـا البريء ، لم يأبـه مـا علـة تواجدهـا هنـاك ، هـل طـردت ، هـل هربـت ، هـل تبحـث عـن احدهـم ، هـل اضطـرت لقصـد المشـفى ، أو أنهـا ثـكلى فقـدت ابنهـا الـذي تحملـه و ووقفـت تبكيـه . . لم يلفتـه سـوى انتصـاب الحسـناء و هدوئهـا و وجههـا المطأطـئ و كان مـن جـاء بكلمـة الحيـاء للقامـوس كان يقصدهـا . . تـدارك «لـؤي»

نفسه و عاد له تفكيره الذي سرق منه لبرهة و قال في قرارة نفسه : كثرت أحداث السرقة ، القتل و الخداع في أيامنا و لعلهم شرذمة من قطاع الطرق يوقعون أصحاب القلوب الطيبة في شركهم بعد نيل عطفهم على النساء و الأطفال ، ثم ابتسم و الغبطة تعتليه و كأنه اكتشف جريمة غامضة طال غموضها . . زاد سرعته و واصل السياقة قاصدا البيت إلا انه لم يلبث قليلا حتى رأى الحسناء واقفة في نفس الصورة التي رآها فيها قبل برهة حتى خيل له إن ما رآه سالفا كان صورة مكبرة و نسخت منها زاوية الفتاة الحسناء عن غيرها لتقف أمامه مجددا . . نفس الوقفة . . نفس الانتصاب . . نفس طأطأة الرأس ؛ تغاضى عن ما رآه وواصل السير و هاهي هنا مرة أخرى و قد نسخت صورتها من جديد. . داس على الفرامل بقسوة لتأبى السيارة عن الحراك ، بقي ساكنا لأجزاء من الثانية و آب إلى المكان الذي رآها فيه فلم يجدها فواصل الإياب إلى ما خاله صورة مكبرة فإذا بالمكان فارغ تعمه السكينة لا احد فيه ، فكر مليا ثم قال : لابد أن احدهم اقلهم إلى وجهتهم المنشودة أو أنهم تمكنوا من احدهم و قاموا بالسطو عليه ، المسكين ما كان يجب عليه الوثوق بالنساء . . النساء . . إن كيدهن لعظيم . .

انطلق «لؤي» من جديد إلى أحضان بيته بأقصى سرعة لأحصنته التي تتربع في محرك سيارته ليلحق بالساعات القليلة التي بقيت من وقت راحته الذي اختزلته تلك الثلة من قطاع الطرق . . أو كما يزعم ! وصل إلى مسكنه الكبير الذي يعكس رقيه و مكانته الاجتماعية ، فتح الباب في تراخ منه ، رمى المفاتيح على أرضية البيت الخشبية اللماعة ، صعد الدرج و كأنه لم يفعل قبلا ، اضطجع على سريره القطني المغطى بملاءة حريرية سوداء و نظر إلى سقف الغرفة في جو هادئ لا يسمع فيه إلا تنهيدة جافة تخرج من صدره تنم عن الكم الهائل من التعب الذي يشعر به ، فكر مليا . . مجرد بروتوكول يمارسه الناس قبل النوم . . التفكير. . الفرق أنهم يفكرون في شئ و هو يفكر في اللاشئ . . ؛ ثم غط في النوم . .

في صباح يوم جديد موالي ، يوم يعيد حيثيات الذي فاته ، روتين قاتل ، لاشئ يتغير في أيام «لؤي» سوى التاريخ و ما كان التاريخ بمهم يوما . . شغل صاحب المقام التلفزة و جاء بفنجان من القهوة المرة و استقر على الأريكة لنصف الساعة المتبقية من وقت راحته ، و إذا بالمذيع يعلن خبرا عاجلا : وردنا الآن خبر عاجل من مصالح امن المدينة انه تم العثور على جثة امرأة و طفل صغير مقتولين ، و تم التعرف على هوية المغدور بهما بعد إجراء التشريح للجثتين ، حيث أن الفقيدة المسماة س.ع لم تكمل العقد الرابع من العمر والطفل المكنى م.ع ابنها الوحيد و يبلغ من العمر ٤ سنوات و مازالت ظروف الجريمة و الجاني غامضتين . . نوفيكم أعزائنا المشاهدين بآخر المستجدات فور الحصول عليها .

لم يتمالك «لؤي» نفسه و وقف راميا فنجانه على الأرض غير مدرك ما سمعه خاصة

بعـد أن شـاهد مـكان الحادثـة ، تمتـم بكلـمات مشـفرة تنـم عـن قـرارات قيـد التفكـير باتخاذهـا ، ثـم خـرج مسرعـا نحـو سـيارته و اتجـه إلى مخفـر الشرطـة و طلـب منهـم رؤيـة الجثتـين مدعيـا قرابـة تجمعـه بهـما . . يرافـق الشرطـي «لـؤي» إلى مصلحـة حفـظ الجثـث . . يقـترب «لـؤي» مـن الجثتـين و رجـلاه لا تـكادان أن تحمـلا ثقلـه ، وجهـه شـاحب ، جسـده مخـدر خـدره الخـبر ، يـكاد يهـوي كلـما دنى منهـما . . الشرطـي يزيـح الغطـاء عـن وجهيهـما . . يقفـز «لـؤي» خطوتـين إلى الـوراء و يهمـس بصـوت هافـت لا يتحسسـه أي جهـاز قيـاس فائـق الحساسـية فكيـف تفعـل أذنـا ضابـط : إنهـما قاطعـا الطريـق . . اقصـد المـرأة و ذويهـا . . لكـن أيـن الفتـاة ؟! يعيـد السـؤال بعـد إجـراء تعديـلات عـلى إعـدادات صوتـه : سـيدي ، أيـن الشـابة التـي كانـت برفقتهـما ؟ شـابة ! أي شـابة هـذه التـي أتيتنـي في سـيرتها الآن !؟ ، يقـول الشرطـي . . يستشـف «لـؤي» الشـاجن المسـكين مـن كلا م الشرطـي ان الحسـناء مفقـودة ، فيقـول : عـذرا سـيدي ، لم يكـن الـكلام موجهـا لـك ، كنـت أفكـر بصـوت مرتفـع فقـط . .

يسـال الضابـط «لـؤي» : هـل نبـدأ بتجهيـز الإجـراءات اللازمـة لاسـتلام الجثتـين ؟، فأنـت قريبهـما الوحيـد الـذي جـاء لتفقـد الضحيتـين مـذ إعـلان الخـبر . . يتنبـه «لـؤي» لمـا ورط نفسـه فيـه و يقـول لـه : وا أسـفاه ، ذلـك السـفاح اسـتأصل شـأفة عائلـة المغـدور بهـا و تركهـم بـلا عمـد فـلا أسـاس لبيـت تغيـب عنـه سـيدته ، فـان كان مصـير جيـش مـن النحـل الهـلاك بعـد فقـدان ملكتـه فـما بـال أسرة بحالهـا . . سـيدي إن الفقيـدة غريبـة عنـي و ليسـت مـن ابحـث عنهـا و لا ضرر إن وردك أي خـبر عـن بعلهـا أو أقاربهـا أن تبلغنـي علنـي أشـاطرهم فاجعتهـم بشـئ مـن الدعـم المـادي و المعنـوي ، و رحـم اللـه هاذيـن المسـكينين و الهـم ذويهـما الصـبر و السـلوان .. وانسـحب بخفـة تـاركا الضابـط في حـيرة مـن أمـره . .

انطلـق «لـؤي» مرهقـا نحـو المجهـول .. و عـلى مقربـة مـن شـاطئ مهجـور هـادئ ، ركـن سـيارته و ترجـل منهـا و اخـذ يعكـر صفـوة الهـدوء المخيـم عـلى الأرجـاء بصـوت ضميـره الـذي اسـتفاق مـن سـبات دام طويـلا و كأنـه كان ينسـاه نائمـا كل يـوم أثنـاء ذهابـه للبيـت لأخـذ قسـط مـن الراحـة ليذهـب إلى العمـل بـلا ضمـير يقـف عائقـا أمـام قراراتـه التـي قـد تغلـب عليهـا الأنانيـة و يكـون نـدا لمـا قـد يمحـي صبغـة الإنسـانية مـن قلـب المديـر الحـازم «لـؤي» ...

ذهـب «لـؤي» إلى منزلـه ، و خلـد إلى النـوم منهـكا لا يسـعه التفكـير في أي شـئ سـوى الحادثـة التـي كان يسـتطيع منعهـا بالتوقـف لبرهـة و سـؤال المـرأة عـن حاجتهـا .. ليكـون بذلـك قـد كـسر روتينـه و فكـر أول مـرة في شـئ قبـل النـوم .. و أي شـئ هـذا!! .. جريمـة قتـل يحـشر انفـه فيهـا و يـصر كونـه متواطئـا في حدوثهـا.. فجـأة يتذكـر الحسـناء وتخطـر صورتهـا التـي لم تـبرح يومـا خيالـه ببالـه ، إلا أن ذكراهـا مـا لبثـت حتـى غلبـه النعـاس و غـط في نـوم عميـق لأول مـرة في حياتـه .. و أثنـاء بشـائر الصبـح الأولى و بـدون سـابق إنـذار انسـحب النـوم مـن عينيـه بقـوة و كأنـه احتـسى

إنـاءا كبـيرا مـن قهوتـه المـرة .. و هاهـو التفكـير يـراوده مجـددا .. يحمـل هاتفـه و يتجـه صـوب مخفـر الأمـن و يطلـب رؤيـة الضابـط الـذي حدثـه بالأمـس .. عندمـا لمـح الضابـط « لـؤي» قـال في نفسـه : كنـت متأكـدا مـن وجـود خطـب في هـذا الرجـل .. سـيدي ، قـد صدقـت حـين قلـت إن لا صلـة بيننـا لكننـي حجبـت شـيئا مـن الحقيقـة .. في طريقـي إلى البيـت أول أمـس صادفتهـما عـلى الطريـق لكننـي لم أسـاعدهما ظنـا منـي أنهـما مخادعـين .. لكـن يـا سـيدي لقـد كانـا برفقـة شـابة في مقتبـل العمـر .. و عندمـا عـدت للمسـاعدة لم أجـد أحـدا .. و هاهنـا اليـوم لا اثـر نقتفيـه لتلـك الشـابة .. فـلا اعـرف أي شـئ عنهـا و لا عـن الفقيديـن ، يقـول «لـؤي».

الضابـط : إذن قـد تكـون الفتـاة مـن قامـت بالجنايـة .. يقاطعـه «لـؤي» و كأنـه كان وثيـق الصلـة بهـا و حافظـا لخصالهـا : لا يـا سـيدي .. لم تكـن مـن ذلـك النـوع .. أنـا متأكـد .. فقـد كانـت هادئـة ، جميلـة ، بريئـة ، مسـتحية مـن لا احـد ، قـد يكـون خيالهـا سـبب حيائهـا !! يتكلـم و الابتسـامة مرسـومة عـلى فاهـه .. كلامـه يدخـل الضابـط في دوامـة مـن الحـيرة ليقـول : حسـنا ، قـدم بلاغـا و سـنوافيك بـأي جديـد ..

ذهـب «لـؤي» إلى العمـل مبـاشرة بعـد خروجـه مـن مقـر الشرطـة ، وفـور دخولـه إلى الشركـة بـدأت أنظـار جميـع الموظفـين تتحسسـه و كأنهـا تتكلـم و بعضهـا عـن سـبب تخلـف المديـر عـن عملـه ليومـين كاملـين و لأول مـرة !!! .. انتهـى رب العمـل مـن شـغله في وقـت وجيـز او عليـه لم يفعـل و امتطـى أحصنتـه السـتمائة و عشريـن المتربعـة عـلى محـرك « الفـيراري جـي تي بي ٥٩٩» متوجهـا إلى ذلـك الشـاطئ الهـادئ الـذي أصبـح يلازمـه وقـت فراغـه منـذ يومـين سـالفين .. فـور وصولـه تلقـى مكالمـة مـن الضابـط مفادهـا انـه تـم إلقـاء القبـض عـلى الجـاني ، سـارع «لـؤي» إلى المخفـر .. دخـل إليـه و كأنـه يدخـل حلبـة مصارعـة و منافسـه مجسـد في السـفاح القاتـل ..رأى الضابـط واقـف عـلى رأس احدهـم ، لم يأبـه لشـخصيته و لم يسـال إن كان هـو الجـاني حتـى .. ذهـب إليـه مبـاشرة و لطمـه عـلى وجهـه الخبيـث مـا دفـع بالضابـط للتدخـل بردعـه عـن مشـاجرته و عـن خلـق جـو مشـحون في المخفـر .. بـدا «لـؤي» يلعـب دور المحقـق و يطـرح جملـة مـن الاسـتفهامات المتتاليـة عـلى المجـرم دون ان يعطيـه الفرصـة للإجابـة .. لمـاذا قتلتهـم ؟ أيـن الفتـاة ؟ مـاذا فعلـت بهـا أيهـا الخسـيس ؟ كيـف طاوعـك قلبـك قتـل ذلـك البـرئ ؟ .. بروية يـا «لـؤي» ، بروية ، يقـول الضابـط

أجـاب المجـرم : عـن أي فتـاة تتكلـم لم أجـد أي فتـاة ، و لم اقصـد إيذائهـما .. أغرتنـي صيغـة المـرأة فـأردت امتلاكهـا لكـن السـيدة عاندتنـي و قاومتنـي بشراسـة فدفعـت بهـا عـلى الأرض فارتطـم قفاهـا بالصخـرة مـا جعـل صغيرهـا يسـتغيث بالبـكاء الـذي اسـتفزني فأرغمـت عـلى إخراسـه .. كـما أننـي لم ارض للمسـكين العيـش فقيـدا لامـه .. يتحـدث و كأنـه قـام بعمـل نبيـل يسـتحق جائـزة نوبـل للسـلام نظـيره .. يعقـد «لـؤي» حاجبيـه و يقـرأ الصـدق في كلامـه .. لم يقـرأ

عدم مبالاته و لا عدم ندمه على فعلته الشنيعة .. فكل ما كان يجول في خاطره و يؤرقه هو الفتاة الحسناء التي غابت عن ناظر الجميع و لم تغب عن مخيلته يوما .. خرج من المخفر و استقل سيارته قاصدا المنزل غير مبال بالفقيدين و لا بمصير الجاني فمرجاه أن يجد الفتاة .. تتوقف السيارة و تترك أثار العجلات منحوتا على الأرض .. هاهي أميرة الأحلام ساقطة على الأرض وشعرها الحريري الأسود منسدل يغطي نصفها .. يترجل الحالم الشاجن من سيارته ليتفقد من وقع أرضا إن مسه عطب ما و إذا بها الحسناء واقعة بأناقة و كأنها تتربع على فراش ملكي تتحسسه بيديها الناعمتين .. يذهل «لؤي» لإيجادها فرب صدفة خير من ألف ميعاد و يقول في تلعثم منه : س .. س .. سيدتي ، هل أنت بخير ، آسف لقد كنت هائما بتفكيري و لم ألاحظك عابرة للطريق فيصعب على ابن الإنس رؤية نسمة هواء عليل تمر به .. و هاهي روح « ويليام بليك « تغادر العالم الآخر لتتملك «لؤي» فيمسي شاعرا بعد أن كان ديكتاتورا .. لم تعره الحسناء أي مبالاة علها لم تكن على دراية بأعمال « ويليام» .. تنهض الحسناء برقة و رقي سليمة لم يمسسها سوء سوى أنها أضحت غابرة الثياب ، لم يخول شعرها الطويل «لؤي» من إلقاء نظرة على تقاسيم وجهها الناعم فهو بالكاد يظهر عينها الكبيرة عسلية القزحية ، .. نهضت و لم تتفوه بحرف و واصلت العبور و كأنها لم تمر بمحطة «لؤي» قبل ثانية .. استفز عدم مبالاتها كيان «لؤي» فركب سيارته و لحق بخيالها .. عذرا .. لحق بها فلم يكن خيالها لصيقا بها رغم أن الشمس كانت تغازل مشيتها المنتظمة .. قد يكون حساسا لأشعة الشمس لا يظهر إلا ليلا أو أنهما على خلاف فأبى حراستها !!! لم يدم لحاقه بها فقد اختفت تماما عند أول منعطف .. العجيب أن المنعطف كان مسدودا ، لا باب فيه و لا ثغرة تخولها الاختباء فيها .. استعجب «لؤي» ما بال الحسناء لا تعيره اهتماما و لا تلبث تظهر حتى تختفي مجددا .. يعود أدراجه إلى حصنه المنيع و يخلد للنوم كالعادة و باله مشغول بالفاتنة الحسناء .. استدار يسارا و إذا بجميلة تقف في شرفته و تطل خارجا .. انتابه الفزع و قال .. من هناك ؟! كيف دخلتي إلى غرفتي؟ والأصدق كيف دخلتي إلى بيتي ؟! تستدير الشابة ببطء لتهيم بعقله و قلبه لحسنها الشديد و رقتها و تمد يدها له.. يقف مسرعا و يلامس ما خلقت لتسمى يدا إلا انه استنكر أن يكون ما يلمسه يدا فقد استحى الحرير من نعومتها و الثلج من بياضها الشديد و اعتزلت المياه دورها أمام سلاستها فلا الريشة يمكن أن تكون اخف و لا عطر النرجس يكون أزكى .. اقتربت شبرين ووضعت يدها على كتفه و دنت منه أكثر و همست في أذنه : سحر .. ابتعدت قليلا و نظرت في عينيه و قالت : اسمي سحر .. و هاهي أضحت هويتها بعد طول انتظار ..

سحر المسكين من جمالها ، سحرها ، رقتها ، هفاتة صوتها ، لمسة يديها الناعمتين و عبيرها الذي ملء أركان الغرفة بل وحتى أدني و اصغر زوايا المنزل .. قال : سحر .. اسم على مسمى .. من أين أتيتني ، هل من الجنة أتيت أم من النعيم أتيت .. جنة أو نعيم نفس المصدر و

اختلف الاسم .. لابد انك حورية من الجنة .. ساحرة من كتاب الحكايات .. جنية من العالم الآخر.. سكت عن الكلام المباح و ابتسم .. ابتسمت هي الأخرى و قالت : جئتك شاكرة عن قلقك و اهتمامك بفتاة مغلوبة مثلي لم تعرف حتى ما اسمها .. قال لم افعل شيئا .. لكن كيف علمت أنني اشتقتك و بحثتك و كأنني ابحث عن المجهول فلا مؤشر يساعدني و لا دليل يدلني .. لم اعرف ماذا دهاني و لا علة تعلقي الشديد بك ..

جزيل الشكر لا يكفيك «لؤي» ، لكن تأخر الوقت و باتت مغادرتي واجبة .. تقول « سحر» غير متكلفة في المعاملة مزيلة جميع الحواجز جاعلة منه غير مبال كيف عرفت اسمه في أول لقاء و لا كيف دخلت إلى حصنه المنيع الذي استعسر على أكثر السارقين خبرة تجاوزه ..

في يوم الغد ذهب «لؤي» إلى العمل تغمره الغبطة .. دخل مكتبه الذي يتسع ليكون جناحا ملكيا في فندق خمس نجوم ، وإذا ب» سحر « تطل من نافذته و لا زال خيالها يعاديها .. قال في استعجاب منه «سحر» أهلا .. اقتربت منه و أصبحت تتملقه و ترديه هائما بنظراتها القاتلة ، لم تبق له على النهى و لا على الفؤاد ، فأمسى صريعا في هواها ذليلا يقيس خطاه بحركاتها المتمايلة المتباطئة .. ثم قالت ما جعله يعيد التفكير في الأمر : ألن تهدي خليلتك من مالك الكثير ؟ .. انسحب منها «لؤي» و قال : الآن فهمت ظهورك لي في كل الأرجاء و في كل وقت، فأين ستجدين الرجل الأنسب مني ، تقومين بإغوائي و تنالين مبتغاكي، لن أكون فريسة سهلة لأمثالك .. عضبت « سحر» و تلونت عيونها العسلية بالأحمر الدموي و قالت ستندم على كلامك .. و انقلعت من أمامه بعد أن تملص منها بصعوبة فائقة ..

ركب «لؤي» سيارته و الغضب يملؤه و توجه إلى البيت ، الأمر الذي لم يكتمل فلم يصل إلى البيت إلا بعد مرافقة الممرضات له على سرير المرضى فقد قام بحادث مروع كاد يودي بحياته .. و بينما هو لصيق الفراش دخلت « سحر « إليه و قالت للممرضتين : لا سبب في بقائكما فانا كافية لرعياته .. أثار اهتمامها الحب في نفس «لؤي» و اظهر له مدى غيرتها الشديدة على سلامته ، فأصبح يرمقها بنظرات سقيم يرى دواءه أمامه .. ثم قال : شكرا لمجيئك .... ما الذي حل بك ،أجابت..

قال : بينما كنت في طريق العودة إلى البيت اصطدمت بي شاحنة عمدا و لا زالت الشرطة تحقق في الأمر ، لابد بد انه منافس يكيد بي، الغريب في الأمر أن الشاحنة كانت بدون سائق !!!

لم تتفوه « سحر» بكلمة و بدأت تغير له الضمادات مظهرة خبرة واسعة في المجال ..

بعد مرور شهر كامل على الحادث الذي شارف فيه «لؤي» على فقدان حياته ، ها قد جاء اليوم الذي ابل فيه و استرجع طاقته التي خارت خلال تلك الفترة .. و من المعروف

أن لاشئ يأتي بلا مقابل و قد كان المقابل في استرجاع عافيته خسارة مكانته الراقية ، فلطالما عرف «لؤي» بفطنته البالغة ، لا تغويه غاوية بيد انه بدد ثروته لقاء اغرائاتها أثناء فترة تطبيبها له و كأنه لم يعرف يوما بحنكته الفائقة ، أصبح يبعزق من مال شركته ليرضيها بشئ من الإبريز يوميا و كأنه لا يدري أن ضرع البقرة يجف يوما فكيف لشركة غاب عنها مديرها أن لا تفعل .. حين وصل حد الإفلاس وقفت أمامه و نظرت في عينه بعينها الحمراوتين و قالت هنيئا لها ، فقد فازت .. انتهى دوري هنا .. و اختفت إلى العدم .. الأصدق تعبيرا تبخرت أمام عينيه فلم يتمالك نفسه و سقط مغشيا عليه .. فور استفاقته بدء يهذي باسمها و ذهب يسال كل من كان موجودا أثناء لقائه بها إلا انه فوجئ بإجابة الجميع الذي اجمعوا على أنهم لاحظوه مؤخرا يكلم نفسه فأبى و استنكر و قال : لقد كانت أمامي تخاطبني .. أصبح البلبال يأكل عقله من كونها غير مرئية للجميع ، حتى أن احد عماله تجرا و قال أنها يمكن أن تكون من الجان و منهم من قال أن النرجسية الزائدة عنده ذهبت بعقله .. بدا يتذكر كيف أنها لم تكن مصحوبة بخيالها في مكان مشمس ، كيف كانت تظهر من العدم و تختفي إلى العدم و هذا مستحيل عند بني البشر ، تذكر حديثها في آخر لقاء : « هي فازت و انتهى عملي هنا « .. فأيقن أخيرا أنها سخرت لتكيد به و استمالته للقضاء عليه .. أدمن القهوة و المسكنات ليلا فأدمنه الأرق .. لم تبق شركة يقود زمام أمورها .. فقد قصره .. سيارته .. جاهه و ماله .. لم يبق له شئ .. أصبح معدوما مخبولا انتهى به المطاف متسولا في الشارع يمسح سيارات المارة بخرقة حريرية هي الشئ الوحيد المتبقي من ثروته الطائلة .. فحاول الانتحار ..... و انتحر ..

« مرام» .. « مرام» .. ينادي «فراس الدين» ..

تعود « مرام» بعقلها إلى الواقع و توقف موجة الخيال التي انتابتها و سرحت بها إلى أبعد الحدود و تقول : آسفة «فراس » ، أنا غير موافقة على الزواج بك .. لن ادع ابني يقع في المكيدة ..

فيروز بن عمار

شيءٌ ما في صدري يشدني إليك

لم يحدث قط من قبل أن تبوأ مكاناً كذاك الذي هو فيه الآن ولم يكد يصل إلى درج القاعة ليلقي بعضاً من روائع الكلم حتى تذكر ماضٍ كان فيه ، حينها القاعة كانت مكتظة كأشد ما يكون الإمتلاء بكافة مستويات الثقافة التجريبية أو النظرية من الناس ، لأن هذه الكلمة التي هو بصددها الآن أشد خطراً من أي كلمة ساقها من ذي قبل .

لم تزل الناس ترقب مجيئه حتى أذن لهم بأن تبدأ المحاضرة ببعض آيات الكتاب وشئ من تقديم كما يحدث دائماً في هذه المواقف ، ومتى ما بدأ حديثه وأخذ يشكر مقدم الندوة ومشرفيها اللذين وقفوا جهدهم لأن يسمع الناس هذه الكلمات عن ما يزعجهم في ظروفهم المحيطة والمحدقة بهم كأشد ما يكون الإنزعاج ، ولعله حين بدأ كلمته بتقدمة الثناء ظل يدور ببصرة بين أنحاء القاعة الأنيقة بحثاً عن أشياء تلهم سبك المحاضرة ، آخذاً من أفكار وأنظار مستمعيه شيئاً وهم في أشد حالات الإنتظار والترقب واللهفة لسماع ما لعله يحل بعضاً من مشاكل المجتمع ناهيك عن حل معضلات بعضهم أسرياً أو من أوشاج القربى وقليل ما هم ، وما همَّ به نفرٌ تدور بعقولهم شتى أنواع الصراعات والنزاعات والرغبات في متعلقات ضروب حياتهم اليومية وخلافه .

سقطت عينه على بعض أعين النفر وكأنَّه تنبه إلى مفتاح المحاضرة علماً بأنه لا يعييه الحديث في متفرقات الأمور في الفكر أو فلسفات الحياة أو الدين أو الأدب وغيرهم ما بلغ بها هذا المستوى الرفيع الذي يشار إليه بالبنان .

إستلهم شيئاً من طرف حديثه من وحي امرأة رآها أثناء إنشغاله بمعرفة ما يدور في أذهان سامعيه ، مستنبطاً ذلك الحديث من نظرات ترقبه وتأمله في أن يتكلم هو بما يتعلق في نفس كل جالس ، وهيهات ، إذ ذاك لا يستطاع ولا يدنو منه لأنه أدق خطراً من مدلولات الغيب القريب .

شغل فكره ملياً ، واسترجع بعض ما علق بذاكرته إبَّان كان طالباً لا يتعدى الصف الرابع من عامه ذاك في قريته تلك الصغيرة الأطراف ، لا يتعدى فرسخاً من كل إتجاه من نقطة ثابتة تحسبها حساباً حتى ضفة النهر من الجانب الغربي ، إذ قُيِّض له أن رآها ذات مرة وهي تجلس تحت ظل نخلة شماء باسقة نضيدة ، طلعها يدخل السرور في القلب الجريح ، وأخرى تعدو كسحابة نحو ضفة النهر الخمول تأخذ بعضاً من طينه ومسكيته وخروعه ، ثم تجيئ بها حيث هو جالس أو حيث بدأت تعد العدة لإنشاء بيت من الطين ، ولعلها تريد أن تسقفه بجريد النخل أو عروق المسكيت ثم تصب فيه ألواناً مختلفة من الماء

المتعفن عند الجدول وكذا الزلال من فيه النهر ، والذي لا تستطيعه تعجنه بلعابها عجناً ، فهي مسرورة بذلك الشقاء وتلك الأريحية وخِفَّة الظل وإنشغالها بما لا يُشتغل به ، فجارتها من القرية ليست بأحسن حال منها ومما تصنع ، ولهم وله شغف بصناعة الفخار وتحريك الدمى والإعتناء بها وحال التصوف تلك التي تعتريهم عندما يحاول أحدهم أن ينال مما تصنع أو يصنعن ، فتثور بذلك الثوائر وتقوم الدنيا ولا تقعد والكل يريد أن يحتفظ علي ما صنع (إنما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) ، بل يزيد حباً وإعجاباً بما فعل ، تنافساً بريئاً لا يعتريها غبن أو حنق وهم يصطرخون حولها وفيها ويأملون ويبنون حتى ساعات متأخرة من القيلولة ، ولها في ذلك بعض ود خفي . دون صويحباتها مع صغير لها يشاركها اللهو والفكاهة والبراءة والحبور وهي تصعد مرة على ظهره ويحملها أين تريد ودونهما السقوط لولا تلكم الأخرى التي دائما ما تحاول المشاركة بشئ من الفظاظة والقوة في غير موضعها . ثم تثور نفوسهن وتثور وسرعان ما تصفُ وتهدأ ويعاودان اللعب من جديد دون الرفاق ، ولا يلبثوا قليلاً حتى ينادي أحدهم بأن حان الوقت للوليمة ، ويسرع الجميع ، كل آخذ من قذارته بنصيب وشكولٍ لا تبارح القبح وأيضاً من صفاء الود في قلوبهم جميعاً .

وفي الوليمة ، يتناولون أمور مختلفات من مُزحٍ ونزاعٍ وفتورٍ وأشكالٍ من الهرجِ ، ولا يرفع أحدهم بصره علي عورة من سواءتهم إذ ذاك لا يبارح أو يُسَارق النظر إلى ديمومة الحياة وسر وجودها إلاَّ ببعضٍ من الشقاء أو المتعة الزائفة.

قال لها ذات مرة وهما يحتويانهما المرح و وحي من صنع الفكاهة (ماذا لو وضعت فمي على فمك ؟) ، لعلها مراهقة على غير موضعها وليس وقتها قد حان ولم تجبه ساعتها ، وأظنه .. فعلها وهو لا يدري .

كان ذلك في عام من ربيع الحياة ، وأخذ طوراً من تقلبات الدراسة في نُجحٍ مستمر بل تفوق متدفق في أبهى حالات الفرح في تخطي إلى غيره ، وهكذا .

لم يكن بعيداً عن ذهنيهما صورة الرجل الواجم العابس الملامح القاسي الطباع الحاد التقاطيع القوى الشخصية الشديد التأثير السريع الغضب ، مع كل ذلك نقي السريرة وهو يحاول أن يأخذ الأمور بقليلٍ من التهور .. إنه عمدة البلدة .. أخذها منه عنوة وأبعدها عنه بلا رأفة حينما حاول الآخر أن يقترب إليها بنظم الشعر وسردٍ من الأقاصيص وبراءة اللسان والضمير ، ثم أخذ يلوح لها بقسوة تفلق الحجر (وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء) ، [هذا آخر عهد لكما إذا تكرر الأمر !] . ولم يكن الأمر ذو بال فهما لا يفعلان منكراً ولا يجرِّبان حراماً بل يتذوقان أصناف الفكر وفلسفة الحياة فيما يقابل سنيهما برومانسية بريئة تلك التي لم يعرف قلبه إليها سبيل من الفكر، إذ نشأ في البدو

وتنقل آخر الأمر إلى قرية وارثاً بعضاً من طين الجدوع أباً عن جد وحياته كلها شقاء ، ولم يبلغ عموديته تلك إلا بشق النَّفس وعناء الكد .

ناداها بإسمها ، وكأنَّما عندما نطقه هو .. غريبٌ أو مُسْتَلَذٌّ أو الإثنان معاً ، أو لعلها متعة ليست جنسية بل شئ أصدق من ذلك : (أروى) ، ليخفف عنها توبيخ العمدة لهما وهو يربِّت على كتفها مرة ويضمها إلى صدره أخرى ، ثم يقول بصوت ضعيف : (يجب أن نغادر البلدة ! بل سأغادرها أنا والبلاد جميعاً ، وسأحملك معي .. في نفسي .. وكل ما أستطيع .. أروى ..) ! ، فردت عليه بصوت متقطع من أثر البكاء وجرح الكبرياء : (لا تفعل أرجوك تمهل قليلاً !) ، ثم تمر عربة مسرعة تعكر عليهما وقفتهما تلك وتلطخ ثوبيهما من قذارة ماء آسن يزيد إلى حالتهما الكره لمصير ما .. مجهول ..

(فضل المولى) عمدة القرية ، لم يقصد الإساءة بقدر ما أراد النصح والإرشاد لهما لأنهما في واجه الطريق والقرية ملؤها أصناف من مختلفات الفهم السيء في مثل ذلك الموقف من إستنتاجات لضيق الأفق وقلة الحيلة ورمي الناس بهتاناً وإثماً مبنياً وأعراضهم وشرفهم ، كل ذلك لا يليق بسمعة البلدة أولاً وهما ثانية لأنهما من أسرتين أكثر علواً وشأناً من عوائل غيرهما في البلدة .

منظر القرية موحش في شكلها وسوقها وحواشيها وأهلها وأنعامها ... ، إنها مقفرة ومقرفة في كل شئ إلا أن نيلها ونخلها بجواره يحاكي بؤسها إعصار تسونامي أو رياح فلوريدا في الساحل الغربي لأمريكا وكثير شبه لزلزال بنغلاديش وقتل المسيح في عهده التليد .

(حسن لا تتعجل الأمر ، فتتركني هنا وحدي) ، هكذا قالت ، وعدها ثم إنصرف إلى نهايات القرية عند منحدر « التلة « ، وهو يجلس شابكاً أصابعه يمسك بها أرجله . ومرة يرمي بحجر علي النهر كنوع من إلقاء الهموم من على العواتق وهو يفكر بعيداً في عوالم أخرى ، والنهر يزفُّ إليه البشرى ويدفعه إلى نسيم هادئ بارد حيث قدميه وكأنما راقت له فكرة أو قرار لا بد من إتخاذه وبأسرع ما يمكن قبل فوات الآوان .. بل الآن ! وقبل أن يهم من مكانه ليبارحه سمع أنغاماً قريبة من أذنيه رعاها إهتمامه بل كل حواسه ويكاد يحدد مكان النغم والوتر ، أنه زواج صديقه (خير الله) لم يتذكره طوال الوقت .. لا بد أن يسرع ليبارك بل .... ويغني في فرحه أيضاً ! هل تراه كان غيوراً أم مسروراً أم تمنى أن يكون مكان صاحبه فلا يقدر أم كل ذلك مجتمعاً ؟ الأهم من ذلك لا بد أن يغادر البلدة بأسرع وقت ممكن بعد أن يقوم بالواجب ... الواجب فقط.

همهمات خلف ظهره وتمتمات عند أذنيه ، إنَّها « أروى « جاءت تبحث عنه ، إنَّها تعرف أين تجده ، يخاف أن تبحث عنه مرةً فلا تجده ، قطعت صمته الرهيب بهمسه تخللت كوامنه أو أقل مغارته : (لعلك متأثراً من كلام « فضل المولى « وقوله الفطير ؟ لا تهتم كثيراً ،

إنَّه في مقام الوالد ، ثم هي التقاليد والعرف السائد في البلدة) ، ويقاطعها بكل لين وهدوء : أبداً ! ولكن بجراح المستقبل وصديقتك « فاطمه « وزواجها من « الخير «) ثم يسكت قليلاً في تأمل لايخلو من وداعٍ وإلتياعٍ وأشواقٍ غائرات : (لقد قررت أمراً مهماً.. لا بد من مغادرة البلاد لا محالة ، منذ وقت ليس بالقصير وأنا أندب الحظ وأجاري الدهر في أرزاق العباد وأنظر إلى إلتقاءنا مثلاً كصديقَيْنَا وهما يفرحان الآن ، بينهما الود وإختلاف بسيط ، طغى الحب عليهما وتعالى فتلاشى الفرق ، هي تفوقه في حسن الطلعة واللباقة وأصغر منه سناً بكثير وهو يدانيها أمراً وشأناً ولوناً ونسباً وضعف جنسي أعلم ذلك ، مثلنا بالضبط ، زيادة على ذلك المستوى المعيشي والإجتماعي والثقافي والأكاديمي وأخيراً الفارق الطبقي وهو خلاصة الأمر ، فذلك يبعد عننا لا محالة كأبعد ما يكون المشرقين وهو نفسه نقطة الضعف في إستمرارية علاقات البشر جميعهم ، وسيان عندي أن كل ذات خميلة أو ذات جدب يختلفان بمقدار ، عزيزتي ، لا أظن أن الأرض تسع خلافات النفوس لإلتقاء ساكنين ، هما نفسين بروح واحدة ، لا أحسب أن البشر يدفنون خطاياهم علي أعتاب قبورهم ويتناسلون الفوارق مهما صغرت أو كبرت ، ولا يخطر على بال أن تجتمع الدنيا مرة لاحتوائهم وتضع كلمتها الأخيرة ، هو إلتقاء أزلي لإستمرار سرمدي ، وبين الإثنين حياة تطول وتقصر في ظلامات النفوس والعقول ، ولا تحسبي أن الأمور تجري بهوى العقول أو برغم آناف القلوب لإستمرارها ، أو بدأ حياة سوف لا تشوبها تقاليد وأعراف وقوانين وضعية ثم لا تهذبها نفوس عاقلة أو قلوب مطمئنة ، ثم لا ترتاح أيضاً لتعديل في سير حياتها ، ناهيك أن تطمئن كل الإطمئنان لإستقرار حياة الفردين في إزدواجية التفكير وهدَّك من شذوذٍ أو نشوذٍ أو تباين في التقاء قطبين متوازيين يبدوان من أول وهلة أنهما يلتقيان آخر الأمر ثم لا يدنوان أبد الدهر ، والتفكير السليم ما هو ؟ هل هو تخطٍ للواقع أم تناسلي للمفروض أم الإثنين معاً أم شئٌ آخر غير المعنيين ؟ ، عزيزتي ، إنَّ أهم ما يعترض حياة الناس وإنشغالهم بالسعادة الدائمة هي الحكمة والتسليم برضاء الله خيراً أو شراً وإن بد غير ذلك فهو ذاك بكل تأكيد ثم .. ثم لا يُلهينَّك أن الأمور الثابتة في حقيقة الأمر أنها ثابتة ، فالثابت الوحيد في سريان الدنيا هو التغيير ربما إلى مال وأموال كدنيا الملوك ، وليس سيان دنيا الملوك ودنيا الورى أو دنيا .. «فضل المولى « هذا أصل لها فرعان ، حياة يُحييها الإنسان فتتغير بها سلوكهم ومعاملاتهم وعاداتهم وكثير من أمانيهم ، فيسعدون بها أشد ما يكون الإغتباط ويثمرون عنها أروع ما يكون الثمر ويجنون لذائذ الجنَّات ، جنات أرضهم ونقاء قلوبهم وصفاء سريرتهم ، وأخرى حياة يَحياها الإنسان لوجوده في خضم المشاغل والمشاكل لا يد له فيها فيحيون حياة الانعام ، نعم والبهائم والسوام وكثير من الدوآب وكثير حق عليه العذاب .. عذاب التغير إلى حياة أهل الصِّنف الأول وسِنخهم الأفضل , يوارون فيها فضلاتهم المتعدده وتخلفهم عن اللحاق بركب أهل النُّهى والبصيرة والحياة , الحياه السرمدية النابضة بكل ألوان السعادة ,

بـل التغيـير .. دائمـا إلى الأفضـل , هـم الذيـن أرجـو أن الحـق بهـم بـل أكـون منهـم , وإني لأرجـو أن تكونـين معـي بينهـم , لبـث حيـاة الـروح في جسـد المـوتي وبعـث حيـاة الخالديـن !) .

يصمـت قليـلاً في تأمـل , ثـم يكمـل حديثـه وهـي تنظـر إليـه بأعجـاب ومـرارة وشـعور غـير متقلـب ومـزاج دفـاق , تريـد أن تصـل إلى نهايـات عـذب حديثـه غـير المنقطـع النظـير , وتهـم أن تقاطعـه لحظـة تحـرك شـفتاه لإكـمال الحديـث ثـم يقـول في غـير إكـتراث : (هنـاك سـؤال يفـرض نفسـه : أيـن سِـمْتُ التغيـير أو كيـف نصنـع التغيـير أو خلـق حيـاة توافـق إزدواجيـة المعايـير لنتفـادي بهـا الكـم الهائـل مـن الخلافـات والإختلافـات الرهيبـة ذات المشـاكل المتعـددة كيـما نجلـب السـلام ؟ , نعـم .. السـلام أولاً ! في نفـس الفـرد والأسرة والمجتمـع والإقليـم والوطـن والبـشر جميعـاً؟ الإجابـه : بسـيطة) , وينظـر إليهـا ويريـد أن يسـتقر في قلبهـا أوعينيهـا الجميلتيـن_ هـل بجسـده يـا تـري أم بالإلتصـاق وحسـب – (المصالحـة مـع القلـب والعقـل معـاً فـإن أعـدى أعدائـك نفسـك التـي بـين جنبيـك , نبحـث عـن مشـاكلها ومشـاغلها ونتغلـب عليهـا ونصالحهـا مـع الآخريـن فينعـم النـاس بالسـلام والحـب والإطمئنـان ويتغلـب البـشر عـلي حيـاة الطبقـات أو حيـاة الصنـف الثـاني ! هـو هـدف ويجـب أن يكـون غايـة في كل نفـس , وأنـت أيضـاً يـا « أروى « تحقيـق ذاتيـة كل فـرد بـكل وسـيلة واسـلة وطريـق ناجـح لا فاتـر) .

ثـم .. بكـت بـكل أنـين في صدرهـا وأخـذ يجرهـا إليـه ويشـبك أُصبعـه في شـعرها ويداعـب أذناهـا ثـم ينظـر وتنظـر , بـل يريـدان حلـولا , بـل أشـياء وأشـياء , هـل هـو الجنـس الخفـي ؟ أكـبر , ولكنـه عفيـف , ثـم حدثهـا في فمهـا حديثـاً يشـجي القلـوب فقـال بـلا صـوت:

- كثير من الشقاء يعتريك يا حسن.

- بل هو جهد البلاء وضني التفكير.

- إلى متى أنت في شقوة وإلى كم.

- لا يعترينـي الضيـاع أو الملـل عندمـا أشـم أنفاسـك وأنـت تضعـين جسـدي عـلي جسـدك الفاتـر .

- أظنه وداع .. هل من لقاء؟

- أي لقـاء غـير هـذا أتظنـين ؟ وأي بـلاء بعـد قـراري تعلمـين وأي بـلاد غـير قلبـك أحيـا , هـل تفهمـين؟

- لهي أمنية , وأنا , أنا أصونها ما بقي الدهر أو بقيت لأحيا بك أو أعيش لك..

- فقـط لا أسـتطيع مسـايرتك في الحديـث أوالفكـرة , فعندمـا بـدأت معـي دروسي أولهـا التحليـق في سـماواتك , لم تعلمنـي قـط الهبـوط , فأنـا أطـير بجناحيـك لا جناحـاي , فـأخشى

السـقوط حيـث لا تحليـق بعـده .

- سيدتي , أنا لا أهبط أبداً .. هكذا أنا.

ويمـر عندئـذ مركـب بـه رجلـين , إنَّهـما مـن القريـة المجـاورة , أصدقاءهـما , (محمـد وسـالم) , يـؤشران مـن بعيـد , وتـأت الطفـرة والقفـزة وتنفيـذ الفكـرة وإعـمال القـرار ويضمهـا إلى صـدره .. ويحوطهـا بيديـه ويضعـان فمهـما عـلي بعـض دون تفكـير وبمتعـة بعيـدة التأثـير حتـى يخفـق قلبهـا ويضطـرب مـا بـين فخذيهـا أشـد الإنفعـال لتكـون نهايـة لقـاء وأول حيـاة ، بهـا كل مشـاق العـذارى وتأوهـات الحيـارى وقلـوب المسـاكين وغـرام لأبعـد مـدى , ثـم يلـوح إلى صاحبيـه أن توقفـا , ثـم يقطـع النهـر سـباحة إلى ضفـاف الحيـاة الأخـرى ومدنيـة العـصر وزخـرف الحيـاة المرصَّعـة بألـوان الحيـاة , ليسـت سرمديـة بـل زائفـة , يظنهـا كذلـك , هـل هـي كذلـك ؟ اللـه أعلـم.

تركهـا ليعـود بهـا واقـع الحيـاة حيـث صـوت الدفـوف وأنغـام تعربـد في المسـاء ورقـص يثـير غبـار الفـتر , إنهـا ليلـة (الخـير و فاطمـة) التـي فقدتـه فيهـا وجـاءت لتبحـث عنـه .. فيعـود بهـا أصـوات الغنـاء وكلـمات ليسـت كالكلـمات..

بصـوت رخيـم يملـؤه الفـتر , ليتنـي مـت , ليتهـا ماتـت , ليـت الفـرح صـار إلى نـواح .. أتـراه يصـير إلى نـواح , هـل تمنَّـت وضع_فاطمـة_ أم غِـيره أو حـالٌ بـين بـين ؟ أسْـكَتَتْ العـبرات صوتهـا وهـي تـردد بإنكسـار صـوت المغنـي يحـاكي صـوت المركـب , نفـس النغـمات , إنَّـه الموقـف يتكـرر , خيـال العمـدة يتكـرر , أحـداث النهـر تتكـرر , عزيـف الريـح ونـواح السـمندقيق وأنـين النخـل والدَّكـه والحدبـه حِـدا النيـل وزغاريـد النسـاء يسـلبن لـب الغريـر ,,, أيـوووووووي يـووووووي أيـوووووووي , ويقطعـن هـدوء الليـل وضرب الطـار وصفقـات الشـباب المعجبـات و « البايـرات « وقفـزات الشـباب الواثـب لنيـل المـراد أو لضربـات الصـوت وهـز السـيف الثقيـل . هـل تمنَّـت أن لا تكـون أثنـاء الزفـاف ؟ وحديـث البنـات نديداتهـا , يتمايلـن فـوق بعضهـن البعـض كـذا مـن تحريـك الجسـم والخـصر , وينشـدن ألوانـاً مـن الطـرب والفـرح البعيـد .. , وصـوت « الخـير « وهـو لا يـدري مـا يفعـل أمضطـرب هـو ؟ أو قـل : منتـشٍ أو قـل : سـعيد ؟ , حقـاً سـعيد ! وصـوت المركـب يحركـه الحـادي , يحـاكي كلـمات الوتـر في جنبـات النفـس بشـئ مـن الترخيـم وإظهـار السـعادة , هـل تُراهـا سـعيدة أم تراهـا تفعـل الواجـب لا غـير ؟ لا يهـم , فهـي تمـضي حيـث يجـب أن تمـضي إلى تباريـح الهـوى الـذي خلَّفتـه وراءهـا أغلـب الظـن , وتنشـد بـلا نغـم وبـلا صـوت وتعـزف بـلا وتـر ..

أوتُراهـا تحـاكي الفجـر القـادم في نهايـات الحيـاة الأولى عنـد بـزوغ غـد آت ؟ هـل تحـرك شـفتيها وتغنـي ؟ نعـم إنَّهـا تغنـي ، لكـن ليـس لفاطمـة ، بـل تغنـي لنفسـها وهـي تلـوِّح بالأمـاني ..

دائماً يأت ما لن يكن في الحسبان ، ولم يكد الوقت يمضي حتى تتدخل أيادي القدر فتبعث بما هو مألوف أو بما هو موجود في ترتيب رتيب روتيني ، فتخطئ قدماها جادة الطريق وينثني ساقها الأيمن ، هذه جثة ، نعم جثة هامدة في قارعة المكان ما لبثت أن تقوم أو تفيق ، حتى أفاقت من سكرة الهيام التي كانت فيها ، هكذا القدر وهذه هي الحوادث لابد أن تغير المعتاد إنها صديقتها (هاله) ، ما الذي حدث لها ؟ كيف جاءت وقاءت ، بل ماتت ؟ لصدمه أكبر من أختها ، إغتالتها أياد صدئة ، إغتالت الحق والحقيقة ، نعم الحقيقة الغائبة التي طالما وارتها سنوات طوال ، هي لم تدر أيضاً أن العواقب سوف تكون وخيمة ، لم يشأ المألوف أن يخبرها عن ملاقاة القدر فسارت تمضي بلا وخذ للألم ورفيق الأيام ولا تحاول ترجاع الضياع الذي ألمَّ بها من قبل ، مثلها كأي فتاة في مقتبل عمرها خانتها الظروف ولعب بها الزمان ، فهي شاهد ملك في غير موضع الشهادة ، ليتها كانت سعيدة أو سعيدة تراها رأت في أباطح حواشيها زروع من قمح وسنابل ذرة في باهي الصور و إرتياح النفس في رؤى الطل يندي وعبير الزرع من جنبات الجدوع وهي تسري فيها النار فجعلتها هشيماً تذرها الرياح في أقل من لمسات الصدق عند إلتقاء الأنامل ، وكأنه عناق ، نعم عناق حار في غير موضعه ، أحرق الزرع والقمح والدمع والقلب جميعاً بلا رأفة ، رأتهم يفعلون ذات مرة ــ لا لسبب وجيه ــ إلا أن في نفوس الناس شئ من الحقد والغيرة والكره والفساد وحب الأذى وتفشي الحال ، لا المنافسة الشريفة والروح الذكية ، شتول القطن في بلْدَات (الرَّيح ود العباس) في أبهى وأجمل من زرعٍ سبقها عام مضى وهي تبشر بخير وفير ومال كثير وتغيير حال إلى أفضل حال ، هي الدنيا ، أتراه لا يستحق أن يحظ بعيش هانئ وحياة رغيدة ومال وفير وترف حياة سهلة ؟ هي الغيرة التي لا تنطفئ ، بل الحسد بعينه (قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، والحسد كالنار يأكل القلب أكلاً لمَّاً ويحب الفساد حباً جمَّاً ، (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب) إنه فقط نظر إلى مستقبل متطلع نحو المكانة الإجتماعية التي يرنو إليها كل ذي فكر جاد ونفس طموحة ، هل هذا هو جزاء الإحسان ؟ أن تحرق آماله وحياته بل جنته ؟ .

فعلتها بطانه السوء من أولاد القرية دون مخافة من أحد ولا وازع لضمير ولا حتى إهتمام بأن عين الله لا تقبل السوء واذا أردت أن تعص مولاك فاطلب مكاناً لا يراك ، ولقد رءاه ، وأتهم « هاله « يفعلون دون حياء وبكل حقد وقلب حانق ملئ بالبغض والنقمة والغل الذي لا يداوى ، كل ذلك الفعل لا يرويه الا أن تسري النار وبكل قوة أوتيتها الريح ، علها تشفي نفوسهم الكريهة وشكولهم النابية ، إنها بطانه السوء (الطريفي ود الطيب) الذي شارف أُكُلُه زرعه وأتى يوم حصاده لم يسفر عن أثلٍ يذكر إذ فيه دودة تأكل منسأة

الـذرة كـذا حتـى مـن سـدرٍ قليـل فجعلتـه هبـاءً منثـوراً (فبدلناهـم بجنتيهـم بجنتـين ذواتـا أكل خمـطٍ وأثـلٍ وشـئٍ مـن سـدرٍ قليـل !) ، فـات الموسـم عليـه وفاتـه الحصـاد بـل فاتـه الربـح الوفـير والخـير جميعـه ، لأن « الريـح ود العبـاس « هـو أقـل منـه مكانـاً وأقـل سـيطاً ومنزلـة ، أتـري أن اللـه قـد فتـح لـه مقاليـد الخـير كـ (الخـير وفاطمـة) وسـوف يسـاوي الكتـف بالكتـف واليـد باليـد جثـواً عـلى الركـب ؟ لا لـن يحـدث هـذا الهـراء ، الأدنى دائمـاً أدنى ، والأعـلى دائمـاً أعـلى ، لا وسـطيه أو لحاقـاً أو تواريـاً أو سـلاماً ، إنَّـه صراع الطبقـات ، إنهـم أهـل الصنـف الثـاني مـن الحيـاة الذيـن يعيشـون كالسـوام .. هـذا دأبهـم ودينهـم مـن قديـم الحكايـا ورثوهـا كابـراً عـن كابـر ، ومـا ورثتهـم بذلـك أم ولا أب .

كاد أمرهـم أن ينكشـف ، والعمـدة يلاحـق الجنـاه مـن زمـن ، مـا تـرك خيطـاً إلا سـلكه وكان أخطـر الأمـــــــر شـهادة الفتـاة ـــ هالـة ـــ التـي كادت أن تبـوح بسرهم قبـل أن يفعلـوا فعلتهم وأخريـن لأمـر مـا بينهـم .

إسـتيقظت « أروى « مـن دهشـتها تلـك التـي فارقـت الوعـي فيهـا أيامـاً ، شـارف الأسـبوع ، إنهـا رقيقـة ، فرفيقـة دربهـا ومسـتودع سرهـا قـد ماتـت ، وهـي التـي أسـقطتها مـرة مـن ظهـر حبيبهـا « حسـن « عندمـا كانـوا صغـاراً حيـث المخاللـة ذاتهـا وهـي كل شـئ يخطـر عـلى بـال مـن وشـائج الصلـة والقـربى والنَّدامـى .

مسـكينه « هالـه « لم تغـرد الأطيـار يومـاً بروضتهـا الغنـاء ولا سـمعت تواشـيج أبي الشـمقمق ولا رجزيـات الحطيئـه ولا سـفاهات بـن ربيعـه ! عاشـت كأهـل الصنـف الأول مـن الحيـاة إلا أنهـا في عيشـها تنحـو الأسى فتُـأرق ، والذيـن يحيـون الحيـاة وينعمـون بهـا وينالـون مـن خيرهـا ويـسرون فيهـا أشـد الفـرح قـد فارقتهـم . هكـذا درب الحيـاة سرور وإمتعـاط وشـكول مـن التبايـن الممـض في حـاق رغبـات البـشر .

تمـضي الدنيـا وأيامهـا الـدول ولياليهـا السـوء وصباحتهـا المشرقـة بالأمـل والفـأل الحسـن وتثـور في النـاس حـروب السـيادة في أوربـا والتسـلط عـلي رقـاب البـشر المسـتضعفين وإلا مـاذا فالقـوي يـأكل الضعيـف ، قانـون الغـاب في غـير إلتئـاب وصاحبنـا ـــ حسـن ـــ تمـضي بـه الأيـام والعقديـن مـن الزمـان فيجـول الفنـادق والمسـارح ودول أوربـا وأمريـكا والسـنغال ، والعـالم بـأسرة ، فيـذاع أمـره بـين النـاس ويعلـو شـأوه وتكـبر مرتبتـه ويشـار إليـه بالبنـان وتجالسـه الحسـان الأماليـد وقيـان الغربـة وتسـامره (سـالي) وهـي تـشرف سـلافاً مـن أباريـق النبيـذ في أروع مشـهد ، بـل تجلـس فـوق أرجلـه يحـكي لهـا بعضـاً مـن أفانـين الشـعر الإنجليـزي وفرائـد السياسـة الأوربيـة في فهـم واضـح ثـم يقريهـا (صلـوات الشـعر) .

حدثهـا ذات مـرة وأخريـات أو لعلهـا في جلسـتها تلـك عـن بعـض حكايـا الدهـر ، والدهـر القديـم في عـذب حديـث و أسـلس أسـلوب وعجـز عـن المجـاراة ، كلمهـا عـن : بـلاد البلقـان

وروسيا البيضاء وسلوفاكيا و أوروبا وموتسارت و رودلف سلاطين وبلاد ما وراء النهر وجزر الصين الشعبية وعن حربي العالم ، و موسوليني وإيفا براون وونستون تشرشل و دوستافسكي وتروتسكي ولينين وثعلب الصحراء وعمر المختار وماو تسي يونغوكيم ايل سونغ وآينشتاين ومحرقة اليهود في ألمانيا والجدار العازل وموشي ديان وملكة إنكلترا وكوخ العم توم وجواسيس البسفورد ، وكيف مات في الحربين أكثر من خمس وخمسين مليون إنساناً ودفنوا بالجرارات في خندق عظيم كأخدود أصحاب الفيل و إنتحار هتلر العظيم لما دخل الغزاة بلاده ولم يمت كالرجال ، وأن النمسا بعثت بسلاطين باشا وهو دون العشرين إلى السودان جاسوساً وكيف حبسه الخليفة ود تور شين ، وأمراء المهدية وعبد الله ود ابراهيم من قرية المتمة بمديرية شمال السودان وإخماده ثورة الساحر عند جبل « كرن « وخليل فرح وخليل عجب الدور ، وصمويل كولردج وتي إس إليوت والرافعي والملائكة لم يتقرى منهم كمال الشهود ورسالة الفجر وفلسطون والجبابرة الذين هم فيها ، والتروقلوديته والهمج والزنج والفونج والفلاشا وممالك النوبة وبلاد هوسا وقبيلة الزاندي ، والزاندي ليست جنوبية سودانية ، والحكم الفرنسي لتشاد وإمتداده حتى فشوده ، والتداخلات القبلية والإفريقية وبلاد الأحابيش ومنقستو هايلي ماريام ، وأبرهه الأشرم و يحي عاهل اليمن ومملكة أكسوم ، والمفضَّل الضبي والطِّرِمَّاح وبن كغلغ وبدر بن عمار وبن طبا طبا وديون السودان الخارجية « ٥٥ مليار دولار « وإعتماده كدولة ترعي الإرهاب وكيف قبضت علي كارلوس وتفنيدها للمحكمة الجنائية الدولية ، والعام الهجري للميلاد وثورات الزِّنج في إفريقيا ، كنلسون مانديلا وباتريس لومبا وجوزيف نيريري وعيدي أمين دادا وكونتا كونتي وجون قرنق ديمبيور ولويس فرخان وأمه الإسلام ومارتن لوثر كينج وروزا باركس وثورة التحرر في أمريكا وقائدة نبذ التفرقة العنصرية ١٩٦٣ م ، وموسيقا بتهوفن وباخ وفلاسفة اليونان وثورات العرب في بلاد مستعمرة ودول نامية والعالم الثالث والتكارير وبن فوديو ومحمد علي باشا وتمهيده للإستعمار في إفريقيا وحديث فلورا شو وإتهام الزبير ود رحمه بممارسة الرَّق ونحن لا نمارس بيع الرقيق إلا في ما نكتب ولنا دبلوماسية غير قابلة الرجوع إلى الخلف ، وريش النعام والجاحظ وحيوانه وملاطفة النساء في حانات هايدي بارك ورمسيس وأشعار الجاهلين وسادن الشعر والسيرة النبوية ..... سحر ما بعدة سحر وعبقرية ما بعدها عبقرية ولا عبقري .ثم تذكر أن طلب منها أن تبدأ الحديث هي فقالت :

ــ سيدي هل أنت عالم أم هي عقدة نقص ؟

ــ أبداً ، إنما أُسلي نفسي والآخرين بشئ من لذيذ القول فبعض القول مغناطيس لسرد الحكايا وقول الخبر .

ــ أتشرف بأني تعرفت إليك .

- أشكرك ..

- بل أنا من تشرفت بملاقاتك في هذه الضاحية من بلاد الضباب ـ لندن ـ .

- هـل أنـت مسـتعد لإلقـاء المحـاضرة في إفريقيـا .... السـودان .. النـاس تشـتاق لسـماعك ، تأخـرت عليهـم طويـلاً ؟

- أتردد بعض الشئ ، هل سوف تأت ؟

- من سيدي ؟

- المنايا تحمل الأماني !

ثم يركب الطائرة ، ودون ذلك آماد بعيدات ولها في الجوِّ أزَّات ..

ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهجول

إمتلأ المـكان وأسـتعد النـاس لأن الرجـل العظيـم الشـأن سـوف يلقـى محاضرتـه اليتيمـة بـكل مـا أوتي مـن ملكـة وفـن وتصويـر . هـل رأآهـا ؟ إنهـا سـمعت بـه وبقدومـه لإلقـاء المحـاضرة ، وجـاءت تجـر أذيـال الذكـرى والتاريـخ القديـم وجلسـات الحدبـة والنهـر والخمـول والـكأس التـي تحطمـت ومتقلبـات الأيـام ومـرارات الفـراق وحـرارات اللقـاء ، هـل تراهـا مـا زالـت تحبـه ؟ نعـم ! بـكل تأكيـد وإلا لمـاذا جـاءت بشـكلها القديـم وروحهـا النبيـل وبعـض تغيـير هدهـا طـول الليـالي والسـهر ، هـل يحبهـا ؟ نعـم ! وإلا لمـاذا قـال لـــ ـ سـالي ـ هـل سـوف تـأت ؟ وقطـع الصمـت الرهيـب ، وبـدأ الحديـث .. إنتبـه بـأن المايكرفـون لم يكـن كـما يـرام ، وطـاف ببـصره أنحـاء القاعـة ، نعـم لقـد رأآهـا إنهـا هـي لا غـير ..

نعـم تحـدث بمـا لا يُجـارى ، وصفَّـق النـاس لـه تصفيقـاً حـاراً وأبـدوا إعجابـاً وراحـة مـما سـمعوا ، وبكـت بـكاء أليـماً بـلا صـوت .. أتـراه إعجابـاً أم توسـلات أم أشـياء أخـرى . قابلتـه بعـد فـوات النـاس ، بـل بعـد فـوات الآوان ،،،

في الليلة ديك لا هان علي أبكي وأسامحك ولا هان علي أعتب عليك

وتمـضي صافـرة القطـار ، إنـه قطـار الحيـاه ذات الصِّنفـين ، هـل تعيـد مـا كتبتـه ؟ لأ ! قطـار الشـوق والعطـبراوي و .....

هـل يجتمعـان أخـرى ؟ أنـا لـو وليـت عنـاء أيَّمـا عنـاء ، عـسى سـمات التغيـير تطـرأ في مسـتقل الأيـام المرجـوة ، ليسـت كالتـي تعيشـها بـل يُحيهـا الإنسـان ويجتهـد الـكل للتطلـع الهـادف ويرقى مـن حيـاة السـوام إلى حيـاة البـشر التـي طالمـا تمنيانهـا في القريـة ـ « فضـل المـولى « ـ

هـل تعـود بعـد كل السـنين التـي مـرت ويتدخـل القـدر لإنهـاء حالـة الشـوق المسـتمر رغـم

تباعـد تجاريـب الحيـاة بينهـما أم يكـون الإحـتراق بنـار الوجـد أحـلى مـن إلتقـاء الأجسـاد ؟ الأمـر جـد مختلـف وجـد صعـب لم يعـد الحـال كـما كانـا يأمـلان ، إنـه المسـتحيل إذا تـم المـراد وربمـا تكـون المكافـأة .

بدر الدين العتاف

عودة ...

لم أكن بهذا الضعف من قبل ، لم يمتلكنى شعور النقص طوال حياتى ، انا لست كاملة ، شيء ما ينقصنى ، داخلى مهزوز تماما بل ومرتعش . أنوثتى ضائعة . ثقة مفقودة ، كبرياء مجروح ، وخوف من غد يحمل فى طياته الكثير من الوجع .أنا دميمة المنظر ، بشعة الهيئة ، مشوهه من الداخل مثل الخارج . الجميع ينعتني بالبطلة ، يرونى متماسكة ، لكنهم مهما توقعوا حجم معاناتى ، فلا تأتى توقعاتهم إلا بجزء مما أشعر به ، لا أحد يعلم كم الجرح المدفون بداخلى سوى من جربه .مررت بتجارب وإختبارات كثيرة طوال حياتى ونجحت بها ، تعرضت لإنكسارات مختلفة ، لكننى صمدت ولم أسقط . لم أعترض يوما على القدر الذى كتب لى ، لكن هذا الإختبار لا أقوى على تحمله . فأنا لا أستطيع أن أنظر لجسدى فى المرآه ، لقد سلب منى أهم ما يميز كونى إمرأة .فلتساعدنى ياالله ! وقف جوارى ، فلقدبلغ منى الضعف مبلغه ، وأصبحت كقشة يابسة ، لا وزن لها ولا قيمة ، تتقاذفها الرياح مثلما تريد .

الجميع يحتفلون بى ، يباركون لى نصرى فى تلك المعركة الشرسة ، التى قليلا من ينجو منها ، كنت أصارع الموت فى كل لحظة . أراه شاخصا أمامى ، حتى جعلنى أشعر بأنه لا عودة لى من غرفة العمليات مجددا. حينما فتحت عينى وجدتهم ملتفين حولى ، ملأت الفرحة وجوههم حينما أخبرهم الطبيب بنجاح العملية ، وشفائى التام من ذلك المرض اللعين .

حينها لم أكن أعلم بأن هناك حرب أخرى فى إنتظارى أشد وطأة وأكثر تنكيلا ، حرب تقبل الذات . ماذا تفعل إمرأة فى أوج شبابها ، وقد فقدت ثدياها واحدا تلو الأخر ، وأصبح جسدها خاوى ؟ كيف سأتقبل ذلك ؟ وماذا ستكون ردة فعل زوجى ؟

أخشى ان يتركنى يوما ، فأنا لا شيء بدونه . لا أستطيع العيش ان لم يكن بجوارى ، لا أقوى أن أراه ينظر فى جسد إمراءة أخرى . لقد كان أول من تعلمت الحب على يديه ، لم ينفتح فؤادى أو ينبض يوما إلا له ، لم أشعر بالأمان إلا فى كنفه ، هو بمثابة الهواء الذى أستنشقه ، هو تلك الهدية التى منحتنى السماء إياها ، ليتنى لم أراه ، وليتنى لم أعشقه .

ماذا لو أختار أن يكمل حياته معى ؟ هل ستكون لمساته ونظراته لى مجرد شفقه ؟ أم لازال حبه لى يكمن داخله ؟ أخشى من ان ينضب خزان الحب الذى بداخله ، الذى كان دائم الحديث عنه وعن إمتلاؤه يوما بعد يوم الى ان يغرق العالم بقوته .

ألم يخبرنى ذات يوم بأن الحب هو إلتقاء الأرواح وليس الأجساد ؟ وان العشق لا يعترف بالملامح الزائلة ، بل يستمد قوته من جوهرنا الداخلى ، الذى لا يستطيع أحد إخراجه إلا

مـن أحبنـا بصـدق . مـا فائـدة الحـب ان لم يكمـل نقصنـا ، ويـدارى سـوئتنا ؟ ان لم يقربنـا فى وقـت الشـدائد ويجعلنـا واحـدا صحيحـا لايقبـل الإنقسـام ، ان لم يعوضنـا عـما مـضى ، مـا لم يمـح عيوبنـا مـن الذاكـرة ، ان لم يجعلنـا نبحـر في شـواطىء الحيـاة بسـلام ، مـا فائدتـه اذا ؟ ومـا فائـدة سـهر قلوبنـا فى ليـالى العشـق ، وهـروب النعـاس مـن أعيننـا مسـاءا .

أدعـت النـوم بمجـرد أن سـمعت وقـع أقدامـه عـلى السـلم ، كانـت تخـشى سـهام نظراتـه ، وان تقـع عيناهـم فى أعـين بعـض ، فيشـعر بمخاوفهـا ويبادلهـا شـعور مزيـف . بـدل ثيابـه سريعـا وهـو يعلـم كـذب إدعائهـا ، وانهـا مسـتيقظة ، فهـى لا تسـتطيع أن تغـط فى النـوم وهـو بالخـارج ، لا تسـتطيع النـوم دون أن يقبلهـا عـلى جبينهـا كـما إعتـاد كل يـوم .

أخـذ يداعـب خصـلات شـعرها المنسـدلة عـلى وجههـا ، إقـترب مـن أذنهـا بعـد ان قبلهـا قبلتـه المعتـادة ، حدثهـا بصـوت منخفـض والدمـوع في عينـه : لقـد إشـتقت اليـك يـا طفلتـى المدللـة ، إشـتقت لشـقاوتك ، لتمـردك ، لدلالـك عـلى ، لأفعالـك المجنونـة ، ولضحكتـك الغـير مصطنعـه . إشـتقت لصوتـك ، لرائحتـك ، لـكل شيء فيـك ، كـم كانـت قاسـية تلـك الأيـام التـى غبتـى فيهـا عنـى وتركتـى منزلـك ؟ كـم هـو قـاسى الغيـاب ؟

أتتذكـرى ذلـك العهـد الـذى قطعنـاه سـويا ، حينـما أغلـق علينـا البـاب لأول مـرة فى منزلنـا ؟ لقـد تعاهدنـا أن نكمـل رحلتنـا سـويا ، ألا يفـرق بيننـا شيء سـوى المـوت . لم أتمنـى شيء طـوال رحلـة علاجـك سـوى أن تعـودى لى مـرة أخـرى . أنـا لسـت برجـل طـماع ، فالقليـل منـك يكفينـى ، بـل ويرضينـى ، لا أريـد مـن الحيـاة سـوى ان أشـم رائحتـك فى كل مسـاء . مـن عـرف الحـب لا يـرى فى محبوبـه سـوى الكـمال المطلـق ، واليـوم أراكى أكـثر كـمالا عـما مـضى ، فلنـا مـن الحـب أمـلا نحيـا بـه ، ولنـا مـن العشـق عـودة ، نسـتكمل بهـا ذلـك الطريـق الـذى بدأنـاه .

رواء أحمد عبدالعال بكرى

فوق خط الحياة

ترددت كثيرا قبل الذهاب, وفحوى الرسالة التي التقتها عيناي عبر الأثير لا تزال عالقة في مخيلتي وأنا الرجل الذي تجاوز الخمسين بقليل باحثا عن وجه حسن أكمل معه ما علق في سجل الأيام وأرد به على كل اثر حطم منابع الإحساس لدي وسلب مني إبتسامة كانت حديث أصدقائي قبل الزواج الأول .. فقررت الذهاب إلي ذات العيون الزرقاء والشعر الذهبي وتلك النظرة هي رفيقتي الوحيدة وسجل من ذكريات الوحدة والنكران الأبوي والأنانية المجتمعية وسيل من التقديس والإحترام بحجة الحفاظ على ذكرى زوجة ماتت وحدها وتركتني أصارع الحياة لكي أُدخِل أولادها إلى نهاية الطريق وأيقنت حين مرضت ولم يزورني أحد أنني وحيد ..وحين إحتجت ونيس ولم أظفر إلا بأشباه النساء .وحدها هبة بنظرة واحدة ألقتها حين همّت بدخول بيتها في نهاية الشارع وحين كنت أتلصص عليها أراقبها ..ولسان حالها يخاطبني هذا بيتي وليس لي سبيل غيره . -النساء والفتيات يعرفن اشياء لا يفهمها كثير من الرجال - إشارات من الأعماق نظرات تتحدث وحدها وتلتحم مع نظرتك وطريقة حديثك ونهايات الحروف حتى إشارات يدك لها دلالات عندهن ...ولكني فهمت إشارتها وقررت الذهاب إلى أهلها لا أتذكر أني ذهبت لخطبة زوجتي التي ماتت وحدها ...لا أتذكر انني سمعت زغرودة مثلما اسمع الآن ولكنهم يبالغون في التعبير عن فرحتهم وقد وافق الأب الذي يصغرني بعشر سنوات و تجاعيد وجهه وعلامات الحزن والأسى تشير انه يفرقني كثيرا في كل شيء وحديثه العفوي كعادة صيادي الاسماعيلية وكأنه اوشك ان يمسك بالسمسمية تلك الالة التي أعشقها وأوتارها تشجيني وتحرك في الاحساس كله ...وحين أفرد كلماته لم أملك إلا الإصغاء وزوجته تكمل له ما سقط سهوا وفاتنتي تجلس بجواره مطأطأت الرأس كأنها تخجل مما يقول...تلاعبت بي الشكوك قليلا حتى أكمل حديثه سريعا وألقاها بكل قوته دون النظر إلى وجهي أو متابعة نظراتي وكمية من الدم السعيد تتدفق في أنحاء جسدي حتى دبت فيه الحياه وأنا ايضا اريدها لا تنجب ..لقد إكتفيت من الأولاد أريدها زوجة تؤنث وحشتي . وتعيدني للحياة وتمحوا الشعر الأبيض من رأسي وتعدم سنواتي الضائعة

رمقتها بنظراتي المكسوة بمشاعرها البكر اقتنصتها من نظرتها الأخيرة ولمحت اساريرها تنفرج رويدا رويدا وأحسست بخفاق قلبي ونبضاته تتحرك سريعا وأهِم بتقبيلها ،كم تمنيت أن يحضر المأذون الآن .

ظللت أتحدث إلى أبيها حديث سمج لا أحبه لأنه حديث يسيطر على مجريات حياتي أردته أن ينتهي سريعا لكن أمها تأبى إلاّ أن تمطرني بسيل من الأسئلة وبين كل سؤال وإجابة

تلقـي حجـرا وأنـا ألقـي بيـدي لأتلقفـه وألقيـه بعيـدا حتـى لا يوقـف نظراتهـا نحـوي وعيناهـا تتأمـلان ملامحـي وتـدرس فـارق السـن وتقنـع نفسـها أني قدرهـا وأنـا ارسـل كلـماتي بـين كل حجـر وآخـر أنهـا سـتكون كل شيء في حيـاتي ولأن عمـلي مقسـم بـين المدينتين...الاسـماعيلية موطنـي والقاهـرة مقـر عمـلي. فسـتكون معـي.

أذكـر اني اشـتقت إلى صوتهـا الـذي لم أسـمعه إلا حـين لامسـت أناملهـا بسـلام قـال كل مـا أردت أن اسـمعه ...وقـد استسـلمت يدهـا الصغـيرة في كفـي الكبـيرة وكأنهـا أرادت أن تتحسـس قوتي

و همّت بالكلامِ قاطعتها أمها التي أرادت لابنتها السعادة .,

لقـد طَلبـت الطـلاق ولم تقبـل ان تكـون زوجـة ثانيـة وهـو لم يحفـظ لهـا كرامتهـا ..مـذ أول لحظـة وأمـه تحلـم بحفيدها...أطفـأت فيهـا بهيـج الفـرح وقـرار العـروس لم تـترك لهـا وقـت لتهنـأ مـذ أول يـوم ذهبـوا للأطبـاء ...ثـم اومـأت برأسـها ....كل شيء نصيـب

لا زلـت أذكـر كل هـذا وكأنـه يمـر أمـام عينـاي لم أكـن أحلـم بأكـثر مـن هـذا وحيـاة تنتظـرني ...وصـوت الأطفـال يمـلأ أرجـاء البيـت ...وهـي تصيـح بهـم أن يصمتـوا حتـى لا أسـتيقظ مـن النـوم فقـد إقـترب موعـد سـفري إلى القاهـرة وقـررت الاسـتيقاظ وحـين فتحـت عينـاي... نظـرت إلى صـورة زوجتـي التـي توشـحت بالسـواد تمـلأ الردهـة تنفـرد بهـا وحدهـا... بحثـت عـن هبـة وعيونهـا الزرقـاء في كل مـكان وتحسسـت الأريكـة . وقلبـي لا يريـد أن يهـدأ بـل تـزداد خفقاتـه... وأحـس وكأني أقـترب مـن لقاءهـا وحدهـا, أغمضـت عينـاي وبحثـت عـن الأولاد في شريـط الذكريـات الـذي يتحـرك وحـده وانـا انتظـر أن يتوقـف.

حسين يوسف العصفوري

فينوس لا تعرف الرحمة

يحـق لنـا نحـن المسـتلبين حبًّـا أنْ نطلـب تضمـين قصصنـا لمجموعـة سومرسـت، ويحـق لنـا إقصـاء الآخريـن والانفـراد وحدنـا بعرشـها المزيـف، ومـن يـدري، لربمـا يصـير أكـثر سـموًّا وعظمـة. هـذه أصغـر حقوقنـا وأحقرهـا؛ إذ لا أحـد مثلنـا أدرك مثـال تلـك العاطفـة مجـرّدة، وصلنـا بأحاسيسـنا إلى المطلـق واللامتناهـي، تاركـين البقيـة الباقيـة أسـفل الهاويـة، رُفقـة الحسـيّات والمـادة.

دعـوني أروي نتفـة مـن الحكايـة؛ فروايتهـا برمّتهـا تعنـي حيـاة بأكملهـا، والكتـب لا تتسـع للحيـوات، بالـكاد تكفـي المـوات، أشـير هنـا لعاقبـة مـن نـوع آخـر، تجمـع المتناقضـات، تـسري فينـا هادئـة لا مرئيـة، وبخـلاف مراحـل الوفـاة الشـائعة، فهـي صنـف يـلي الإشراق لا السـقم.

قيّمـوا القصـة كيفـما شـئتم، قولـوا أنّهـا تفتقـر المشـاهد والأمكنـة، أو يعوزهـا الترابـط والنهايـة المُرضيـة، اعتمـدوا معاييركـم الخاصـة؛ فأنـا شـبيهٌ بكـم، لا آبـه بتقديـر خـارج عنـي، معيـاري يـرى القصـة السـيئة تنتهـي بالـزواج، الجيـدة بالمـوت.. أمّـا العظيمـة فـلا تنتهـي أبـدًا.

لا شيء تعرفونـه حـولي سـوى أنّي ابـن هـوس التّذكـر، أمـراضٌ عـدّة تتدفـق فيَّ كنهـر كبـير يجـري غزيـرًا، وهـن عضـلي، اضطـراب شـبه فصامـي، فقـر للـدم: «عامـل وراثي» يقـول الطبيـب؛ فتومـئ الأم برأسـها ويبـدو مزهـوًّا.. عنـد عودتنـا سـألتها «وهـل مـات أحـدٌ في عائلتنـا مـن الحـب؟».

أمّـا هـي فينبغـي معرفـة القليـل عنهـا، يُشـجيني أنْ تعرفـوا أكـثر مـن القليـل. اسـمها نغـمًا منتميًـا للحقبـة الثوريـة، حيـث غُلّـف الشـعور برفعتـه الأولى، وحُطّمـت قيـود المتعبـين، حيـث ضربـت حركـة بتهوفـن الخامسـة كبريـاء الكلاسـيكيين، مَـن اتّخـذوا الفـن صنعـة، والحـب صنعـة، وفـوق أنقـاض حصنهـم العتيـق ولـد حـب الفـن وفـن الحـب معًـا.

فاتنـة، سـاحرة، آسرة، حساسـة، قويـة، غيـورة، واثقـة، حازمـة.. كل هـذا لا يصفها بدقـة؛ فهيئتها الاعتياديـة لـن تُضفـي سـحرًا عـلى واحـدة غيرهـا، وطالمـا أذهلتنـي هـذه الحقيقـة، حـين تمـر بـأي مـكان لا تـبرز سـواها، ولا يُفـتن الحضـور إلّا بهـا، وإنْ لمحـتْ أخـرى بعينـين كعيناهـا، وقسـمات كقسـماتها، وصفـات كصفاتهـا؛ فأقـصى مـا يمكننـا قولـه أنهـا حسـناء، ثـم نُشـيح بصرنـا كأنّـا مـا رأيناهـا.

مضـت تسـع سـنوات، التقيتهـا صدفـة بمنـزل أحـد المعـارف، رحّبـتْ بي وسـألت عـن أحـوالي، تبـدّتْ لي عندهـا أكـثر حنـوًّا ودفـأً، أطلعتهـا بخواطـري فأنكرتهـا:

- على العكس، ما عدتُ أملك ذرة حنان واحدة.

فحصتُ ملامحها لأجد الصدق أو الزيف فيما تقول، وحملقتْ فيَّ بدورها منتظرة ردّي، وعندما لم يصلها استأنفتْ:

- كل ما هنالك أنّك لم تتوقع تحدثي معك بهذه الطريقة.

أدركت لحظتها أنها لم تتغير كثيرًا، تقرأ العقول في هنيهة، وتُفصح عمّا يراودها فورًا لتختال لاحقًا بصواب تكهناتها. تختلف عني حتى في هذا، فلم يبقَ جزء مني على حاله مذ فارقتها، اختلت أحاسيسي، وأضحيت باردًا برودًا يفوق ذاك الذي تمنحه عقاقير الاكتئاب:

- لا زلتِ داهية كما عهدتك.

أجابت بالضحكة العفوية القديمة:

- السمات السيئة لا تغادرني، بل تكبر معي.

طوال تلك الأعوام أعدت إحياء صوتها في عقلي، ورغم طبيعتي النساءة، استطعت مواصلة الاحتفاظ بطريقة حديثها ونبرته، كنتُ كل يوم – لا واعيًا – أُعيد ترديد أصداءه بمخيلتي حتى استوحد معي، وصار نسيانه يستلزم نسيان نفسي. وبمقابلتها توّج هذا الانتصار على الذات؛ فما زال صوتها كما أذكره، فلوت صغير، يمتاز بتلك النغمة التجريدية الفريدة، وذاك الحنو البهي، واللحن المشرق المملوء بهجةً كلوحات «كاندنسكي»، وفي شخصها ما زالت كما هي: ذكية، ساخرة، تلقائية، مرحة، تأسر مُحدثها دون بذل مجهود. وأنا ما زلت أفشل في منع الكلمات المندفعة الفاضحة لكياني.

كلما مرّ الوقت ازداد تساؤلي، كلما نطقت حرفًا أو أرسلت تحيةً أو أطلقت ضحكةً ساخرة تعاظم استفهامي، شيء ما تبدّل فيها لم أعيه، متيقنٌ أنّ جوهرها كالسابق: اندفاعها، ثقتها، صراحتها، والدهاء المعجز. تفكّرتُ مطولًا فيما يمكن أنْ يكون بلا جدوى، وكشخص طالما آمن بحدسه واتّكل عليه، صدقته هذه المرة أيضًا، فإنْ كانت لم تتغير في ذاتها، لا بد أنّ حدثًا أو أحدًا ما خلّف أثرًا غائرًا بأعماقها يُرسل صقيعًا مفزعًا للفؤاد.

كوني يا عزيزتي نصيبًا لآخر، يسعى إليكِ إنْ أبعدته، ويصون مكانتك إذا أغضبته، متسامحًا تجاه رغباتك ونزواتك، لا حاقدًا ولا منتقمًا، مفرط الحساسية، حكيمٌ نبيه في شخصه، مغفلٌ كبير في حضورك، ساطعٌ بوجودك، جثة بغيابك، اختاري مستمعًا بذائقة فذّة؛ فالموسيقى أكثر الفنون حسّية ورومنتكية، والأهم: كوني بصحبة من لا يغتال الحياة فيكِ.

قضينا دقائق رفقة بعضنا، أصختُ السمع خلالهم حتى تلاشى صوتها، عاديةٌ معاملتها لا مبالية، تتبسم وتضحك وتُلقي النكات متى أرادت، بينما أرتدي صمتي خشية رؤيتها لوجعي وحجم شعوري الحق؛ لأنّ من يُحبك إلى هذا الحد يمكنه كرهك بالقدر نفسه، وما يجاوز طبيعته ينقلب لنقيضه.

كانت تهم بالمغادرة قبلًا وتوقفتْ حالما ألفتني، دقيقة واحدة من السعادة، تُغني عن سنوات عذاب، ما يُعدُّ أمر حسن؛ فمن الألم المقض أخلق الكثير، أصنع جدوى للرحيل، فوهة للاستماع، نافذة للوداع، فورة لغيابٍ مديد مديد. «تغير صوتك وتكسوه بحة»، ألقتْ كلماتها الأخيرة وابتعدتْ؛ فجعل الشحوب يعلو وجهي، واستوطن الجفاف حنجرتي، كيف أخبرها أنها مخطئة، كيف أقول: غُصة هي ما تسمعين!.

تأتي سنين وتنصرم، يخر فيها ألف عاشق على ركبتيه، متيّمين ببهجتك وتعاستك، بعينيك الناعسة وشخصيتك، بظاهرك وباطنك، بعد أنْ ترفضهم نرجسيتك تُغرمين وتتزوجين، تُنجبين طفلين صبي وفتاة، تواصلين جرجرتْ العبيد خلفك بغير إرادة؛ فأنتِ مولعة بزوجكِ وهو كذلك، تُناهزين الستين، ويثب أحفادك حولك في الأعياد، تمتلئ حياتك وتفيض سرورًا، تُلاقين مصير البشر المحتوم، وكذا يفعل الزوج والأبناء والأحفاد، يختفي أثركِ تدريجيًّا، لكن روحًا تعسة وحيدة تعمل ليل نهار لتخُلّد ذكراك فيما لا يمكن أنْ يفنى، وسيمر عابر بعينيه عَقِب قرن أو اثنين على هذه الأسطر؛ فتعودين للحياة.

دنيا البوزيدي

وتجمعنا الأيام

نادين فتاة ذات عيون بنية غامقة تشبه كثيرا لون القهوة، وشعر أسود طويل و بشرة بيضاء، فتاة جميلة تعيش مع عائلتها، خانها القدر و الحظ أو دعنا لا نلقي التهمة عليهما، خانتها رحمة أبوها، الذي حواطت قلبه ظلمة أفكار إمرأة لا تعرف للإنسانية معنى. إسمها سعاد مطلقة و لديها ولد من زوجها السابق إسمه مصطفى يكبر نادين بعامين وهو معاق طريح كرسيه منذ كان طفلا نتيجة تعرضه لحادث. أخدها زوجة له للعناية ببناته نادين و يارين بعد تعرض زوجته الأولى، لنوبة قلبية أبقتها طريحة الفراش لأشهر عديدة ثم ماتت. حاولت سعاد منذ زواجها و ذخولها عتبة باب البيت إخراج نادين و الإنفراد به، عاملت نادين بقسوة تتصرف معها كالملاك البريء أمام والدها و عندما يغيب لأن عمله يتطلب السفر، و البقاء بعيدا عن منزله لأيام، تقوم بتكليفها بأعمال البيت الشاقة و إستحقارها رغم صغر سنها، حاولت حتى منعها من الدراسة، كانت المسكينة نادين تدرس سرا، و تخفي كتبها بعد الإنتهاء، خوفا من أن تمزقهم زوجة أبيها، لكن إبنها كان عكسها تماما في معاملته مع نادين، ولد بوجه ملائكي و عيون زرقاء ذو أخلاق عالية، كأنه لا يوجد بينه و بين أمه رابط دم إطلاقا، أعتنت به نادين منذ كان في سن العاشرة، أحست منذ رأته لأول مرة من النظرة الأولى بالشفقة فقد حزنت كثير لحالته ، كانت الشيء الوحيد الذي تسعد بالإعتناء به في المنزل، سعيدة بالبقاء بقربه رغم كل ما قامت به أمه من أجل إخراجها من البيت وإستصغراها في عيون والدها كي يطردها، و كادت تنجح في ذلك مرات عديدة، فوالدها لا يهمه حزن نادين و لا سعادتها، خوفه فقط من حزن يارين لأنها متعلقة بأختها و تحبها وقف حاجز أمامه فلم يستطع طردها.

تجلس نادين في غرفة الضيوف، فقد وصل والدها منذ ساعات من رحلة عمله و طلب من يارين أن تذهب و تخبرها أنه يريد التحدث معها، لطالما أحست نادين أنه لا يعاملها بحنان بل ببرودة و قساوة كأنها ليست إبنته و هو ليس والدها و لا يهتم بها كما يفعل مع يارين، أمها هي الوحيدة التي كانت تهتم لأمرها و تحب أن تراها سعيدة و ها قد ذهبت و تركتها.أتأمل ملامح أبي و هو يشاهد التلفاز ،فهو أراد التحدث معي والآن لا تصدر منه أي كلمة، هو فقط يشاهد التلفاز أو يفكر حقا لا أدري، يسرح بي تفكيري بعيدا، لماذا أبي هكذا؟ سألته مرات عديدة لماذا يعاملني بهذه الطريقة كأنني لست إبنته،لست من لحمه و دمه، لكنني أحبه رغم كل أفعاله، رغم وقوفه بجانب زوجته، التي إنتشرت بيننا كالسم و فرقتنا كحبات القمح عندما تنثر على الأرض، يوقظني صوت أبي بعد صمته لدقائق منذ حضوري إليه، كأنه لم يلاحظ قدومي أو كان يقوم بترتيب كلامه حقا لا أدري فأنا لم أعد

أستوعب تصرفاته، يقول :بخصوص جامعتك لا يفصلك إلا أسبوع واحد على ذخولها، لكن لن تدرسي هنا في مدينتنا بل سوف أرسلك إلى العاصمة، لكن أبي المدينة بعيد كثيراعن هنا، لا تفعل هذا أرجوك. كيف يمكنني الإطمئنان عن أختي و كيف يمكنني الإعتناء بمصطفى كما أنني أخترت تخصص الطب من أجل...، كنت سوف أقول من أجل مصطفى لكن متأكدة من أن أبي كان سوف يصفعني، لم أرغب في مناقشته و أخترت الصمت منقدي فأنا متأكدة لن يغير رأيه حتى لو إنطبقت السماء على الأرض.

حملت جسدي و أتجهت إلى غرفة مصطفى فأنا لطالما أعتنيت به منذ طفولته أطعمته، قدمت له دواءه و أساعده في تمارين العلاج الفزيائي نشأ بيننا حب كبير في عمر صغير، حب منذ الطفولة، حب بريء يجهله هذا العالم المظلم، كان بمثابة بيت لي رغم صغر سنه لكن كلماته عند مواساتي أكبر بكثير من عمره، كانت تجد طريقها في دروب قلبي، توقف خوفي و ينتزع صوته العذب الحزن من فؤادي، أحببته أنا لا أنكر هذا أحببته بأفعالي بإهتمامي لأمره و خوفي عليه، و أنا متأكدة أنه يحبني ،و عندما أصبحنا شباب أمه تمنعني من ذخول غرفته و أبي كذلك، فلا أدري ما تلك الأفكار الشنيعة التي تفكر بها زوجة أبي ووالدي يصدقها.

بين ثنايا هذه الغرفة التي لطالما كانت بمثابة العالم بالنسبة لي، جالس على هذا الكرسي الذي لم أستطع الإنفصال عليه لا أدري صدمات الحياة جعلتني معاق هكذا أو لأن طليق أمي قام بدفعي فسقطت من على الدرج بعد إكتشافه أنني لست إبنه و أن أمي قبل زواجها به، كانت على علاقة مع والد يارين، ثم إكتشفت أن نادين ليست أختي من أبي بل تبنوها من الميتم، فأنا أحببتها و تمنيتها زوجة لي منذ صغري هي كل شيء بالنسبة لي، يقاطع صوت نادين هذا التفكير الذي ينهش عقلي كما يفعل الذئب بفريسته، تقول لي: صباح الخير صباح النور نادين. كيف حالك اليوم؟ ، أصبحت بخير عند رؤيتك، أشتقت إلى تلك الأيام قبل عامين كنا لا ننفصل عن بعض إشتقت إلى طفولتنا، أحبك منذ كنت صغيرا و أنت تعلمين ذلك لو كانت حالتي تسمح، كنت أخدتك من هذا المنزل و رحلنا بعيدا أردت قول لك هذا منذ سنوات لكن لم أستجمع شجاعتي، و ها أنا الآن قلته و كأن حمل ثقيل أزيح عن جسدي، أعلم أنه يحبني حتى لو لم يقل فالحب إهتمام وليس كلام، صمت للحظة ثم أجبته، أنا كذلك فأنت تعلم ما بذاخلي أكثر مني أنا أمامك صندوق مغلق لكنه شفاف ترى كل شيء يحتويه من الذاخل، تعلم مدى مقدار حبي لك، صمتنا لدقائق أرمقه بنظرات الحزن و الحب معا و يرمقني هو بنفس النظرات كذلك، ثم فجأة تكلمنا معا في نفس اللحظة، أبي يريد إرسالي إلى العاصمة، و قال هو : علينا الإبتعاد عن بعض ، لم أعلق على كلامه إكتفيت بالغرق في بحر الصمت و بكيت وجعا من سهام كلماته الجارحة ، إقترب مني و بصوت حنون أذاب قلبي معه ، نزلت على ركبتي و أقتربت منه

وضع يده على خدي يمسح دموعي، لماذا يفعل بي هكذا؟ يريد الإبتاعد عني و يزيد قلبي تعلقا به، يضع نهاية لقصتنا التي لم تبدأ بعد، نظر إلى ذاخل عيوني و قال : دموعك تقتلني يا نادين وهو لا يعلم أن جملته تلك قتلتني، حقا هذا أحسن قرار لكلينا ،أن يبتعد أحدنا عن الأخر، فأنت فتاة جميلة و مثقفة تستحقين كل شيء أنا لست من مستواك أنظري إلي حالتي هذه لا أستطيع حتى الخروج و أخدك للحديقة معي مثل كل العشاق، رفعت يدي و أزحت يديه عن و جهي، وقلت وشفتاي ترتجف أنا أحببتك بكل حالاتك، لا يهمني شيء بهذا العالم سواك نهضت من على الأرض، و إتجهت إلى خارج غرفته بسرعة، إكتفى بالصمت من ورائي هاجمني بسلاحي، بينما كنت أبكي بهستيريا، سمعت أصوات عالية من غرفة الجلوس أقوى من نحيبي الذي أكتمه، فلطالما كتمت ذاخلي أشياء كثيرة تعلن كل يوم الجنازة على قلبي، إقتربت من غرفة الجلوس وجدت الباب مغلق. زوجة أبي تقول لأبي إنه إبنك مصطفى إبنك كنت فكرت قبل أن تقيم علاقة معي و تكتشف زوجتك هذا و تصيبها نوبة قلبية، تذخلها في تلك الحالة ثم تموت بعد ذلك ، كيف لا ترسلها ؟أتريد أن أخبر يارين أنك السبب في موت أمها، سوف تكرهك يارين سوف تفقد إبنتك الحقيقية و إحتفظ بالمزيفة، بالتأكيد سوف ترسل تلك البنت التي تبنتها زوجتك من الميتم، لا تفعلي هذا سعاد نادين لا تريد الإبتعاد عن أختها إنها أمانة زوجتي، ليست أختها أنت والد مصطفى و يارين فقط، و أسمع الطامة الكبرى إبنك من لحمك و دمك حاول الإعتداء عليها ، علينا التخلص منها قبل أن يحدث ما لا يحسب عقباه أتريد أن أن يفضح بيتنا، وتصبح سيرتنا على كل لسان أهل القرية، حسنا توقفي لا أستطيع إحتمال ما تقولين، رأسي على وشك الإنفجار، سوف أرسلها لكن سوف أقوم بسؤال مصطفى أولى عن ما قلته في الآخر ، يتجه أبي ليفتح الباب فيجدني واقفة كتمثال،كأن خيط الحياة قطع و سحب مني، أنا الآن متجمدة جسد بدون روح، في تلك اللحظة إنتزع كلامه روحي تجمد الدم في شراييني فقدت القدرة على التنفس، عندما علمت أن أنا و مصطفى إخوة وعادت روحي من جديد لتستقر في جسدي، فرحت عندما قالت أنني لست إبنة أبي، فرحت أنني لست بنت هذه العائلة، مشاعر مختلفة شعرت بها بين الحزن و الفرح، ضاعت نفسي للحظة ثم وجدتها، ياالله أحفظ عقلي مذا تقول هذه المرأة ؟ و ما هذا المستنقع الذي وقعت فيه، عرف أبي أنني سمعت حديثهما، تجاوزني و تركني مصدومة و لم يتوقف حتى ليشرح لي، على رغم من أنني لست إبنته فهل يعقل أنه تجاوز كل السنوات التي ناديته فيها أبي و هو يعلم الحقيقة و لم يتجرأ على أن يقول لي ،إتجه إلى غرفة مصطفى و لحقته زوجته و تبعتهم أنا بخطوات ثقيلة كأنني عرجاء، أحاول إستيعاب ذلك الكلام الذي قيل منذ دقائق هناك لكن كل ما قيل حقيقي لأنه في لحظات الغضب تقال الحقائق و أبي لم يعترض على ما قالته زوجته، كل شيء حقيقي ما عدا حكاية الإعتداء كلها إفتراء و كذب لماذا يشوهون حب

مصطفى لي ؟ لماذا ؟ فكرت في كل هذا و أنا أنظر إلى ذاخل عيون أبي أو لا أدري من هذا الرجل الغريب؟ و مذا يعني لي؟ وقلت هل ما قالته زوجتك الحقيقة أجابني بسرعة أجل إنها الحقيقة، كأنني تعلقت بأمل أن تكون زوجة أبي كاذبة و قطعه هو ببساطة حتى دون أن ترمش جفون عينيه، و كأنه كان ينتظر هذه الفرصة ليخبرني، ثم إلتفت لمصطفى و قال : هل ما تقوله أمك صحيح ، هل حاولت ..؟ لم يكمل أبي جملته قال : أجل فعلت يا أبي ، قاله بعد أن أشاح وجهه دون النظر إلى عيوني، لم يلتقط سمعي إجابته، لكن صدمني عندما قال يا أبي، هل يعرف مصطفى كل هذه الحقيقة ؟ لماذا قال أنه قام بفعل سيء لم يفعله ؟ أوحتى لم يفكر في فعله، لا بد أن كل العالم أتفق على صدمي اليوم، الجميع يريد أن يقتلني، كلهم إتفقوا عن إخراجي من هذا المنزل، إسودت في عيوني كل الذكريات الجميلة التي قضيتها فيه مع أمي ،إجتمعت كل هذه الأفكار في رأسي، كأنها تحاول إخضاعه، كأن حجرا وضع على صدري أنا أختنق ،لم أستطع تحريك لساني و كأن كل العالم توقف، ليتحدث أحد و يقول لي أنني أحلم شعرت بدوخة و سقطت على الأرض كأن عقلي توقف على العمل يريد نسيان كل شيء .

مضت أيام و سنوات ، أكملت دراستي و غدا أول يوم لي كممرضة في إحدى جمعيات العناية بالمعاقين، لكن لم أنسى فلا تزال هذه العبارة «أجل فعلت يا أبي» في أذني، كأنني سمعتها البارحة، في ذلك اليوم غادرت و لم أنتظر أبي أن يقول لي غادري رحلت و تركت خيبات الأمل من خلفي، لكن لا زال حب الطفولة أحمله معي يؤلمني التفكير في أن نهاية قصتي هكذا،نعم أنا تألمت لأنني عشت لسنوات ذاخل كل هذه الأكاذيب، لكن إبتعادي عن مصطفى و كذبه في تلك اللحظة أكبر وجع حملته في قلبي طوال هذه السنوات لقد تجاوز حبنا و تجاوز السنوات التي قضيناها معا، أعطيته كل عمري وهو لا يستحق ثانية منه، أعرف أنه فعل هذا كي يحميني و ضعت هذه الفكرة ذاخلي كي أستطيع مسامحته فمع مرور الوقت، إكتشفت أنه كان على صواب في قرار إبتعادنا.

مرت سنوات على إبتعاد نادين عني، تركت كل شيء ذلك اليوم و ذهبت مبكرا إلى العاصمة، كي تتخلص من صدماتها التي نزلت عليها كالمطر في بداية شهر سبتمبر، مضى وقت لكن لا تزال ضحكتها، كلامها، حبها للحياة رغم قسوتها عليها تسيطر على فؤادي و تشغل تفكيري، منذ رحيلها كأن الله عاقب عائلتنا على ظلمنا لها، فقد توفي أمي و أبي في حادث المرور،كنت قد بدأت بالتحسن لكن سماعي للخبر أخذني لمحطة الصفر، كأنني البارحة سقطت من على الدرج، يارين بعد وفاة أبوها غادرت البلاد للدراسة في الخارج، وأنا الآن أدعوا الله ليل نهار أن يجمعني بنادين فقد تعبت من حمل هذا الذنب كل هذه السنين، تعبت من حبي لها و لا أجدها أمامي، فشوقي وحنيني لها يقتلني مع كل ثانية تمر .

إنـه يومـي الأول في العمـل الجـو مشـمس كـما أحبـه، يذكـرني بالأيـام التـي كنـت أصطحـب فيهـا مصطفـى إلى الحديقـة، تناولـت الإفطـار و أرتديـت ملابـسي، أحسسـت ببهجـة ونشـاط لم أحـس بهـما منـذ مغـادرتي عائلتـي المزيفـة في ذلـك اليـوم المشـؤوم. وصلـت إلى مـكان عمـلي فهـو قريـب مـن منـزلي، بـدأت بـدوام عمـلي، كان قـد أرسـل المديـر البارحـة البرنامـج اليومـي، تفقـدت المـرضى و عندمـا و صلـت إلى آخـر غرفة،إجتاحنـي شـعور لم أعـرف مصـدره عندمـا وضعـت يـدي عـلى مقبـض البـاب فتحتهـا و دخلـت فوجـدت المريـض عـلى الكـرسي المتحـرك بجانـب الشـباك، كأن هـذا المنظـر ذكـرني بشـخص أعرفـه شردت قليـلا تذكـرت مصطفـى في تلـك اللحظـة، ثـم قلـت صبـاح الخـير رد صبـاح النـور، هـل أنـا أحلـم؟ هـذه أنـت نادين أليـس كذلـك. صدمـت للحظـة لم أسـتطع تمالـك نفـسي و جثـوت عـلى ركبتـي، عبارتـه تلـك تعنـي أنـه كان ينتظـرني كـما كنـت أنتظـره، في تلـك اللحظـة نسـيت كل المـاضي سـامحته عنـد مـا رأيتـه فقـط، أيعقـل أن يفعـل الحـب و الإشـياق بالإنسـان هكـذا يجعلـه ينـسى كل أفعـال حبيبـه، لكـن ماقطـع قلبـي حزنـا لا يـزال عـلى حالتـه. أجبتـه بصـوت أقـرب إلى الهمـس و شـفتي ترتجـف نعـم هـذه أنـا، حبيبـة طفولتـك يـا مصطفى.كأنهـا عندمـا قالـت تلـك الجملـة أحسسـت لأول مـرة بوجـودي عـلى كوكـب الأرض، تحركـت مـن مـكاني بعـد سـنين مـن مرافقتـي لهـذا الكـرسي وقفـت و تركـت صديـق طفولتـي خلفـي ،نعـم أنـا أمـشي و أتجـه نحـو نادين.وقفـت أنـا كذلـك بعـد أن رأيتـه واقـف عـلى قدميـه و أتجهـت أنـا إليـه و أرتميـت في حضنـه و أجهشـت بالبـكاء، و كأننـي تخلصـت مـن كل قيـود المـاضي، حضـن إسـتمر لدقائـق لا أحـد ينطـق بكلمـة ، و كأن العـالم توقـف و لا أريـده أنـا يعـود للحركـة مـرة ثانيـة، تكلـم بعـد كل ذلـك الصمـت جمعتنـا الأيـام سـامحيني، حركـت رأسي بمعنـى نعـم ، ثـم سـكت لثـواني و قـال : هـل تتزوجينـي ؟

مـضى شـهرين عـلى زواجـي مـن نادين فقـد وافقـت، يومهـا أحسسـت بسـعادة غمـرت كل زاويـة مـن زوايـا قلبـي، و أزاحـت شـجن السـنين عنه،بضحـكات صاخبـة كعادتهـا تقـول : مصطفـى أيهـا الـزوج المشـاكس توقـف عـن وضـع أذنـك كل ثانيـة عـلى بطنـي و الإسـتماع لنبـض قلبه،يحضنهـا إليـه و يقـول : أنـا الآن أسـعد رجـل فقطعـة منـي و منـك قادمـة إلى هـذا العـالم كي نغمرهـا حبـا فـوق حبنـا لبعـض.

أحسن شاين

لو لم يكن قدراً

الصين، جزيرة خاينان سنة ٢٠٠٠

- حبيبتي، هل ما زلتي متعبة؟

- لست كذلك كف عن المبالغة.

لقد اعتدت على هذا، وسئمت منها، لطالما حاولت أن أكون لطيفًا، لم تهتم يومًا لأمري لم تظهر لي يومًا حبها، لم أعد أفهم ما الذي يربطنا، لم أعد أفهم لما ما زلت متمسكًا بها.

- أمي لقد عدتِ أخيرًا من السفر، اشتقت إليكِ، كيف كانت رحلة عملك.

- أنا متعبه ولدي عمل غدًا لا أملك وقتا لأضيعه معك، سأذهب إلى النوم، أراك لاحقا.

أكره هذه الكلمة فهي نفسها التي قالتها لي منذ عام، لم تقل يوما أراك بعد قليل، لم أشعر أنها تشتاق يومًا إلى ابنها الوحيد...

٣٠ ديسمبر سنة ٢٠٠٠

يا الله ارشدني إلى طريق الصواب يا الله ساعدني، لقد سئمت منهم جميعا، ولكني هذه المرة لن انطق بكلمة، وسأكتفي بالرحيل لن أغادر منزلي، ولن أذهب إلى مقاطعة أخرى، ولن أذهب لفرع شركتنا بالخارج، سأرحل تماما عن أي شيء يربطني بهذا العالم الجشع، سأرحل إلى مكان لن أتمكن فيه من رؤية هؤلاء الناس الذين لم يقدرونني يوما، الذين لطالما اعتبروني لا شيء في حياتهم، سأرحل ولن أعد حتى يتعافى قلبي من كل هذه الندوب.

مصر، الإسكندرية سنة ٢٠٠١

يومي المعتاد، أفطر مع عائلتي الكريمة جدي وجدتي، أذهب إلى المدرسة التي لا يحبني فيها أحداً، وغالبا ما أستمع لبعض السخرية منهم تجاهي، وأعود مرة أخرى إلى منزلي _ أو منزل جدي بمعنى أدق_ ويقوم عم صبحي البواب بتوجيه خرطوم المياه إلى نظارتي مباشرةً حتى يحجب عني الرؤية ويحظى ببعض الضحك، بينما تقوم جدتي بتأديبه، لقد كانت دائماً في صفي.

أما عن أمي وأبي فهما لم يتوفيا بل انفصلا وقررا الانفصال عن أي شيء كان يربطهما، وبالطبع كان هذا الشيء أنا بالتحديد، لم أراهم منذ مدة طويلة ولكني لم أشتق لهم ولو لمرة واحدة.

لتمر الأيام وأصل إلى آخر يومٍ في هذه المدرسة، لقد كنت سعيدة جداً.

على الأقل سأنتقل إلى مجتمع جديد ربما قد يقدرني.

ولكن... هل يمكن أن يكون أسوء، وهل يوجد شيء أسوء مما أنا عليه الآن.

أتمنى أن يكافئني الله، أتمنى أن تتغير هذه الحياة رأسًا على عقب.

ثقتي بربي دفعتني إلى أن أقول «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله».

وكان جدي قد أخبرني أنه سيذهب في عطلة الصيف إلى إنجلترا، ليزور خالي الذي لم يره منذ سنوات، وسيصطحب معه جدتي، قائلاً لي «لقد كبرتِ بما فيه الكفاية لتحمل مسؤولية نفسك لثلاثة أشهر»، كان الفراق يعز على جدتي كثيراً، ولكنها أخبرتني أنه حينما أعود من آخر امتحانٍ لي سأجد مفاجأةً قد تسرني.

كنت متحمسة جداً، ولكن لم يكن هذا اليوم يومي.

لقد كان الأسوأ منذ قدومي إلى هذه المدرسة قام أحد زملائي _ أو أحد من يكرهونني _ بإيقاعي في الحديقة لدرجة أن بنطلوني قد تمزق واتسخت ملابسي كلها كان شكلي مضحك لا سيما أنهم جميعا قد ضحكوا.

لم أرد العودة إلى المنزل كانت أحلامي قد تحطمت جميعا، لم يمر اليوم كما توقعت.

ذهبت إلى الشاطئ، كان يمكنني سماع بعض المارة يستهزؤون بي، ورغم ذلك كنت أشعر براحة غريبة، ولكنني بكيت، بكيت إلى الحد الذي جعلني أشعر بالصفاء، ورأيته ...

رأيت ملامح لم تكن واضحة في وسط البحر يقود سفينة صغيرة كان يبدو سعيدًا بالنظر تجاهي، ومن يمكن أن يكون سعيدًا برؤية قبيحة بلهاء مثلي، لم أعلم إن كان قد تمكن من رؤيتي بوضوح، ولكني لم أتمكن من هذا.

عدت إلى منزلي لأجد المفاجأة قامت عائلتي بحجز تذكرة سفر إلى جزيرة خاينان بالصين لمدة شهرين يبدو أن ما تمنيته قد كان، حمدًا لله سأرحل من هذا المكان ولو لبعض الوقت.

***

أخيرا قد وصلت، تبدو الحياة رائعة لقد عشت هنا لمدة شهر رغم اختلاف اللغات والعرق واللون والعادات وحتى المعتقدات، لم يتنمر عليّ أحد كانوا يعاملونني بلطفٍ لم أره من قبل.

كانوا متقبلين وجودي، حتى أنني كوّنت الكثير من الصداقات.

رغم اختلاف اللغات كانت هناك الإنجليزية.

ورغم اختلاف الألوان كان لون قلوبنا واحد.

رغم اختلاف العادات كنا نتشارك في بعض التفاصيل الصغيرة٠

رغم اختلاف المعتقدات كنا نتشارك الاهتمامات نفسها...

لم يكن السفر بالنسبة لي متعة بقدر ما تعلمت منه الكثير.

لقد أدركت معنى «الاختلاف لا يفسد للود قضية»، لقد انكرتها، لطالما انكرتها.

كنت مختلفة في أشياء صغيرة ولكني لم أخلُ من تنمر الآخرين يومًا.

ولكن هنا...

نحن لم نتشابه في شيء بل كان التشابه ضئيلاً جداً.

الاختلاف حقاً لا يفسد للود قضية.

إن الفساد نابع من سواد القلوب.

القلوب التي لا تقبل حتى الاختلافات الصغيرة.

وبدلًا من أن تقابله بالقبول، كانت تقابله بالعنف.

فكرة تقبل الآخر واكتشاف جانبه الجميل كان هو الحل الأمثل.

ولكن سواد القلب يعمي صاحبه دائمًا.

هـذان الشـهران كانـا أسـعد أيـام حيـاتي، تقبلـت نفـسي للمـرة الأولى، وأحببـت كـوني مختلفـة، أحببـت شـغفهم وأسـئلتهم عـن حياتنـا وأسـلوبنا وعاداتنـا وتقاليدنـا.

وكنت أتصل بجدي وجدتي من حينٍ لآخر.

وكنـت أتذكـر ملامـح هـذا المـلّاح الآسـيوي الـذي رأيتـه حينهـا، ولم أتمكـن مـن رؤيتـه بوضـوح لانكسـار نظـارتي وقتهـا.

أقترب موعد رحيلي وبدأت مخاوفي في الرجوع شيئًا فشيئًا.

ولكنه قد توجب عليّ الرحيل ...

إلى اللقاء يا أفضل مكانٍ عشت فيه.

إلى اللقاء لأشخاصٍ يصعب عليّ لقائهم مجددًا.

ولكن هل هناك مانع من قول إلى اللقاء؟

فقد تقابلنا صدفة، وعالجنا ندوب بعضنا البعض.

هل هناك مستحيل؟

لا أظن هذا...

***

مطار برج العرب ١٠ أغسطس ٢٠٠١

لقد كانت الرحلة متعبة، ولكن تعبي كان عن قلبٍ راضٍ.

يبدو المطار أفضل مما كان عليه يوم رحيلي، أو ربما أنا هي الأفضل الآن.

اقتربت من إنهاء أوراقي أخيرًا.

ولكن ... بينما كنت أتجه نحو باب الخروج لمحته مجددًا

تتلاقى عينانا للمرة الثانية ولكني تمكنت هذه المرة من رؤية تفاصيله

كان حقًا آسيويًا

مهلًا لحظة

لماذا يتجه نحوي؟

هل يتذكرني؟!

هل هناك مستحيل؟

- مرحبًا، يبدو لي أنكِ تتذكرينني أيضا

- لا لا يوجد!

-ماذا؟

-ماذا؟

-أنا من أسئلكِ

-هل تتحدث العربية؟

-هلّا رحلنا

-ماذا عن طائرتك؟

-ربما قررت العودة اليوم لرؤيتكِ هنا، هل سمعتي عن شيءٍ يدعى القدر؟

-هل تعرف المستحيل؟

-يغيره القدر!

- .....

- .....

- كانت هذه بداية قصتنا، قصة كتبها القدر

من كان يتوقع، أن نسافر بلدان بعضنا البعض، وأن نقابل بعضنا البعض بهذا الشكل.

من كان يصدق أن هذا الآسيوي هو أبيكم، الذي يتقن العربية أكثر منكم.

ومن كان يصدق أن هذه الفتاة القبيحة، هي رئيسة لجنة حقوق الأطفال الآن.

مـن كان يـدري أن مـن قابلتهـم في الصـين مازالـت عـلى تواصـل معهـم حتـى الآن، ولكـن ليـس بالإنجليزيـة، بـل بلغاتهـم الأصلية...

-هل سمعتي عن شيء يدعى القدر؟

-هل تعرف المستحيل؟

-يغيره القدر!

-والصدفة؟

-إنها جزءٌ من القدر تغير مجرى حياة شخصٍ بالكامل، قد يغير الحياة كلها!

-وما الذي يغير القدر؟

-إنه الدعاء....

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله...

زينب يسري محمد علي خيري

نايا على مسافة حلم

ورق متناثر من حولك دفاتر هنا وهناك، وأنت على كرسيك الخشبي الرث تطرق قلمك بالطاولة وطقطقة تقيم الحفل في آذانك فنجان قهوة تبلد فيه الحثل، وأنت بأوج حالتك من الملل الرتيب....

تراقب سقوط أخر ورقة للوردة التي أمامك، تبحث عن منقذ ينتشل جسدك من غرقه الأخير في بحر الكآبة وعن سفينة ترسو بك على ميناء الحماسة لقد عاهدت نفسك بعدم الكتابة مرت أخرى وضعت أخر حرف سقط من جعبتك نقش على حائط الوطن عزمت على ممارسة نسيانها وعلى تجاهل كل العبارات التي تندفع في رأسك لترغمك عليها، إلا ذاك الحلم الذي يلوح لك بعيدا من مطارات القادمين...

يصوب بوصلته نحوك لتحزم حقائبك وتلقاه في آخر المطاف الذي لطالما حلمت بالوصول إليه..

فجأة يصل قطار الذكريات مسرعا تنزل بقدميها الناعمتين وعينيها البراقتين عن بعد أميال، تلوح لك بأصابعها الخمس، تسدل شعرها البني على كتفيها وتبتسم ابتسامتها الكرزية من طراز لؤلئي....

رائحة الياسمين تنبعث من حولك مجددا...

نايا تطل عليك بعد شتاء بارد كأنها شمس الربيع وشتائل أزهاره..

مضى وقت على مداعبة سحرك لخاصرة قلمي التي أصابها الركود والانحناء كعكاز عجوز اهترئت بعد وفاته تفتقد لمست أصابعه الحنون...

تطل عليك بعد شتاء قارص أثلجت فيه ثناياك، شتاء أوشك على الانتهاء ليزهر ربيع قلبك من جديد..

إنك يا نايا على مقربة مني قاب قوسين أو أدنى على مسافة حلم عالق في وسادتي التي تحفظ كبائن أسراري بحبك، إني اليوم أملك من القوة ما يهدم فرط ضعفي أحلم بمقاس يفوق الواقع وأختنق برائحة عطرك وخصال شعرك، وأدرك أن الدنيا بين جناحيك كبيرة تتسع جميع أحلامي وأنافس الطيور بأسراب من أمنيات تركتها معلقة على أهداب عينيك، طريق معبد من الكحل تمشي عليه خطوات قلبي النابضة...

على مسافة حلم يقف طيفك نجوم مشعة كأنك بنات نعش الكبرى في فضاء حسني ومجرة مخيلتي يقف حاملا جمر الحنين ليوقد نار الشوق في جسدي فاحترق وأصبح رمادا

يختبئ في جفنيك يعجبني احتراقي بك وأذوب كشمع ينصهر وأنت تطفئينه في يوم ميلادك وأركض ولا يتعبني المسير لاحظى بعناق طويل يغمرني بك لأنسكب في ذاتي...

حلمي الذي هرب من معصم يدي وأحكمت عليه قبضت يداك الصغيرتان حلمي الذي تلخص سطر في رواية عينيك...

هاهو آذار يطل علينا من جديد

آذار وما أدرآك ما آذار يا نايا شهر لا يشبهه أي من الشهور

يشبهك تمامًا...

يبقي الأماكن حيث هي يسرق الأشخاص يأتي دون موعد يذهب على عجل يعطي الشمس نصيبها من الراحة يعطر الأرض مطرا في بللها الأخير يوقد شعلة الأمل في انبعاثها الأولى يأتي حتما ليحدث الفوضى...

يأتي مثلك ليربك حواسي...

وأبسط تفاصيلي من مشبك شعرك إلى خلخال قدميك..

أشتم بلله يعلق بتراب جسدي وأودع معه كل سنة أمنية....

وأتلو تراتيلي المقدسة في حضرة جمالك ولا يسعني الصمت كثيرا

بل ولا يسعني حتى قليلا...

الصمت الذي أرهق حنجرتي، وذبل على آثره الكلام على شفتي صدري....

الصمت الذي تخثر في عروقي بعد غيابك وأصبح كدواء مر أرتشفه على معدة خاوية، نفث في شراييني سموم البعد حتى تكدست، وشوهت لون دمي إلا أن أتيت عاد أحمر يموج كما يموج لون الكرز على شفتيك..

ماذا لو كان آذار وحيد دونك ما كنت لأشعر

بكل هذا الحنين المخضب في ذاكرتي العاقة التي نسيت كل الوجوه العابرة إلا وجهك الذي حفظته مرات عديدة في كل بقعة منها!!...

إنك الصورة التي لا تقبل التجزيء ولا التشكيل صورة ،واحدة لا يمكن تكرارها

لا يمكن اختزالها أو استبدالها....

تملكين شيفرة خاصة تضعني في مأزق في كل مرة عند قراءتها شيفرة خلف صدرك...

تفضح مدى اشتياقي وتراقب نبضات حبي وهي تمارس سباق الماراثون ولا تهدأ....

تخبرني الغيوم فوق وجنتيك عن أحلام صيف معقودة بسلاسل سنابل ذهبية، عن ربيع تجرد من معطف شتاء، وارتدى فستانه الزاهي وعن خريف ودع أوراقه الأخيرة وأعلن الاستسلام لحطب حنين أوقظ لوعة الشتاء عند مواقد، السمر...

مهما تمرد الشتاء علينا يأتي آذار، وفي آخره نايا عروس الربيع ظبية الجمال، يأتي ليخبر الشتاء ويعلمه آداب الفصول، فغزالة مثلك وليدة لكل سوسنه ربيع لكل ريحانة صيف لكل كاميلية خريف وأقحوانة شتاء...

لا تخشي على الشتاء من الذهاب....

إنه كطفل شقي يمارس العبثية والغوغائية يعصف بنا رياح الحنين لأنه يشتاق لأن يذوب في مطر عينيك...

يحاول لفت الأنظار إحضار كل الآمال المؤجلة والذكريات المعلقة على شماعة الذاكرة...

وكل أمل مستجدى بعد يأس وخواء ....

لا تخشي عليه إنه يعلم أنك نرجسته الوحيدة في عالم يعج بكل أنواع الورود يعلم بأنك نرجسته التي لا تذبل بعد غيابه تفيض مطرا من بحور عينيها....

لا تخشى عليه إنه كالطفل المدلل يفتش في كل بقعة منك عن منافذ الاهتمام يسلط الضوء عليه لكنه يفشل في بحور عينيك ويعود أدراج غيومه مسرعا....

يذهب ومعه كل أحلامي التي حبستها في زجاجة عطرك وفي شالتك وكفوف يديك

ويبقى عالقا في صوتك وقافية من قصيدة المطر المرتل على تراب جسدك .....

لم أؤمن يوما بروايات الأحلام والسندباد وعلاء الدين وياسمينه كنت أسخر، من كل الروايات تلك لكني اليوم أتمنى أنها لو حقيقة لأعيشها معك أو على الأقل أتمنى بأن أحظى ببساط يطير ليأخذني إليك متى شئت ونجوب العالم سويا، تمنيت لو أني أملك فانوس سحري أمسح عليه فيظهر لي جنيا وأخبره عن مدى حبي لك فيأتي بي مسرعا إليك، تمنيت لو أني رقميا أعبر آلة الزمن كيفما شئت وأشكل الأحلام تماما على مقاس حلمي بك...

لست بتلك المؤهلات التي تحلمين بها ولكني أعلم أني أملك من مؤهلات الحب ما يكفي لأن أكتبك روايات عشق لا تنتهي...

سلامي عليك حبيبتي وأنت المفردة الوحيدة المتسللة إلى ذاتي

سلامي عليك وأنت القلب المكمل لقلبي فلقتين حب في روح واحدة

سلامي عليك نسمات رقيقة تداعب شمس وجنتيك

سلامي على لون الزهر في حقول قلبك وعروق يديك

سلام عليك من كل زاوية تنبض بجمالك ورمق عينيك

سلام عليك كل السلام وأنت السلام وصدرك مهبط الطيور وملجأ الأمان

سـلام عـلي يـوم أحببتـك ولا ميـلاد لي قبـل نبـض حبـك ولا عـزاء لي عـما فاتنـي دونـك فـإني اليـوم معـك أكملـت حلـم بـك...

براءة محمد علقم

مأساتي

رفقاً بي يا دكتور فأنا لا استطع تحمل نظرات الشفقة في عينيك.!

تلك النظرات التي تنصهر من شدة وطئتها مشاعري وينشطر من أثرها كياني قبل أن ينسحق فتات..!

حتى لأكاد أذوب من فرط قسوتها من قمة ناصيتي الرمضاء حتى أطراف أنامل قدمي الجدباء.!

وبرغم محاولاتك اليائسة لإخفائها بالالتفات يمنة ويسرة كل حين وآن صدقني لن اطيقها.

لأنني وللإنصاف أستحق ما يضادها من نظرات السخط والبغض القاتم.!

ولعلك الان فقط أصبحت تعلم علم اليقين السبب لما آل إليه حالي المتردي، والذي لا أبغي له علاج على الاطلاق.!

ومن المؤكد انك ستتساءل الأن مندهشاً؟!

لماذا قدمت اليك اذاً إن كنت لا اريد الشفاء من سقمي؟!

حينها أجيبك ببساطة بانني لم اجد أذانًا مصغيه لكلامي غيرك.

بعد ان فقدت أعز ما أملك وتجرعت وحدى بفراقه كأس المر الصديد.!!

وصرت بعده اعانى عذاب الوحدة ومرارة الفراق.!

واوشكت فعليا على شفا الجنون المطبق.!

لذا كان لزاماً على أن أخبرك بمأساتي.

حتى تكون عبرة لمن سيخلفني على دربها.

لذا ائذن لي الأن بالانصراف غير عابئ بما سيصير اليه حالي.

فحاضري ومستقبلي اصبحوا سيان بعد أن غدوت فيهم بائس بنصف حياة.!

ولولا بقية من ايمان في قلبي لاخترت درب الانتحار نديماً!!

وها أنا ذا قد تركت بحوزتك تجربتي المريرة.!

يمكنك تمحيصها كيفما شئت.!

فلم اعد ابالى بشيء بعد ان فقدت بلمحة واحدة كل شيء!!

****

ضغط الطبيب النفسي الشهير بسبابته زر جهاز التحكم لأغلاق جهاز التسجيل.

معلناً بذلك انتهاء الجلسة العلاجية لذلك المريض القانط.!

والذي ختم حديثة بتلك الكلمات المؤلمة التي ينفطر من اجلها اعتى الوحوش في البرية.!

ورغم محاولات الطبيب النفسي لإثنائه عن مغادرة عيادته .!

قبل أن يحاول التخفيف من وطأة حالته النفسية البالغة السوء.!!

الا انه صمم بعزيمة لا تلين على الانصراف غير مكترث بشيء!

حينها لم يجد الطبيب امامه بُدَّ أخر سوى الانصياع لقراره الحازم.

فتركة ينصرف وهو يشيعه بنظرات تنضح بالشفقة والرثاء فذهب لا يلوي على أحد.!

وهو يدير مقعده المتحرك صوب باب حجرة الكشف التي كان في استقباله خارجها ذلك الممرض، الذي رثى لحاله لذا ما لبث أن راه حتى هرع إليه بلهفة ليأخذ بمقبض مقعده المتحرك إلى خارج حدود العيادة الطبية

وفي تلك الأثناء حاول ذلك الطبيب جاهداً أن ينفض عن ذاكرته ما عاصره من أحداث مع ذلك المريض، حتى طيلة الجلسات المتوالية مع مرضاه ولكن هيهات فكل تفصيلة قد حدثت حامت كالإعصار في تلافيف عقلة

مجندلة كل ما تبقى له من عزيمة للتناسي لذا لم يكد يفرغ من الكشف على أخر مرضاه، حتى قرر أن يستمع لحكاية ذلك المريض البائس بكل حذافيرها.

فشرع بالضغط على زر جهاز التسجيل وانتبه بكل حواسه، وهو يرهف سمعه باذان مصغية لينساب الصوت المضطرب عبر الأثير

وهو يقول بجزع:

_جاءت بداية دنياي يا دكتور ويكأن هناك مثال فرعوني قهره الحزن قرر أن يجسد ألامه وعذابه عبر الواقع،

فنحت على جدار حياتي جميع مآسي البشر فلقد نشأت يتيم الأبوين وعلمت من جدى الذي تكفل برعايتي، منذ حداثتي ان أبواي قد أودى بحياتهما سائق أهوج مخمور لا يبالى بحياة البشر لذا سحقهما بسيارتهما.!

بواسطة عربته العملاقة ودون وازع من ضمير أو حتى أخلاق تركهما يلفظان انفاسهما الاخيرة.!!

ليهجراني مجبران لأقاسي دونهما مرارة اليتم وجسامة الفاجعة الكبرى التي كانت في أوجها بوفاة جدي، ورحيلة عن عالمي بعد انقضاء عقدي الثاني ولأنني وجدى كنا نكابد شظف العيش، فما بالك بحياتي من دونه لذا فقد رحل مخلفاً ورائه شبح انسان محطم يكافح جاهداً، حتى يحصل بالكاد على قوت يومه، من العمل الدؤوب في إحدى مصانع الصاج بالمنطقة الصناعية بحلوان والتي لا تبتعد كثيراً عن حيث اقطن

بذلك المنزل المتصدع الذي جار عليه الزمن حتى أنى كنت دائما ما أترقبه ينهار منطبقاً على أم رأسي، ليريحني من وعثاء دنياي و شقاء أيامي الذي لا زمنى كظلي طيلة حياتي.!

حتى تغير بي الحال الى النقيض وابتسمت لي الدنيا فجأة في ذات ليلة.!

حينها كنت عائداً من عملي بعد يوم شاق ومرهق كالعادة، وبعد ترجلي من الحافلة الخاصة بالمصنع احكمت ياقة معطفي الرث جيداً،

تزامناً مع هزيم الرعد الذي لاح في السماء إيذانا بموجة أمطار عارمة وبالفعل ما انقضت برهة من الزمن، حتى هطلت الامطار الغزيرة محجمة بذلك خطواتي النشطة لاضطر مجبراً الى الاحتماء اسفل احدى الشرفات، حتى تنتهى زخات المطر التي اخذت ذكرياتي معها في الاسترسال حتى أن حنقي حينها بلغ مداه من تردى أحوالي، ولم تكد الامطار تخفت تدريجيا حتى شرعت في استكمال طريق عودتي بعد انقشاع السحب، وظهور القمر بدرا منيرا في السماء ومع تحسسي لخطواتي لمحتها..!!

كانت قابعة بجوار جدار ذلك البستان يتلألأ جزء بارز من سطحها البلوري الاملس تحت ضوء القمر.!

فانتبهت اليها, ولأول وهلة لم اصدق بصرى الذى خطفته ففركت عيناي حتى اتبين حقيقة حلمي، ومع سطوع الحقيقة بانني احيا واقع ملموس تقوست بسرعة لانتزعها من بين الوحل الذى تصارع عليها.!

وهنا تصاعدت ضربات قلبي حتى كادت ان تردينى, فقلبي الصغير لا يحتمل, ولوهلة لم اصدق ما تحمله قبضتي, ولكن الحقيقة ومضت كالبرق في تلافيف عقلي, لتخبرني بعثوري بتصاريف القدر على أثمن الاحجار الكريمة على وجه البسيطة

(الماس)..!!

وقد حزت احداها, ماسة لا تقدر بثمن، وكالمجذوب رحت اتلفت يميناً وشمالاً, لأتيقن من أن أحداً لا يراني وصيدي الثمين الذي اقتنصته بمصادفة مدهشة, وكالمسحور أخذت أزيل ما علق بها من طين بطرف معطفي المهترئ, لينول الشرف السامي

ثم ببالغ الحذر دسست ماستي في جيب معطفي العلوى بجوار قلبي مباشرة، حتى أبثها ضرباته المنتشية، وهنا تسمرت وشعرت أن الزمن قد تجمد بي لثوانٍ وأنا غير مصدق على الاطلاق تلك اللحظة الفارقة من حياتى, أهي اضغاث أحلام حقًا, أم واقع ملموس أحيا تفاصيله المستحيلة بحذافيرها, انتزعت نفسي من جمودي وأنا أعدو بصيدي الثمين صوب منزلي, الذي سيتراقص طربا لاستقبال كنزي الماسي في تلك الليلة المبهجة

وهناك اخرجت ماستي وأخذت أهيم في عالم وردى وانا أتلمس سطحها الاملس المصقول البارد

ورحت اتأملها ملياً من كافة تضاريسها المتلألئة وهى تسطع كألوف الشموس المبهرة تحت

ضوء لمبة حجرتي العتيقة، وكانت بالفعل من أجمل ليالي حياتي، نمت فيها قرير العين ألوذ بدفء ماستي التي احتضنتها حضن الأم لوليدها، وفي الصباح تغاضيت عن الذهاب الى العمل، وقضيت يومي أرفل في احلام الثراء الذي ينتظر وافده الجديد بأكاليل الغار، وهنا ماج عقلي بتخيلات شتى وذهبت السكرة وجاءت الفكرة, ولست أدرى لماذا قررت آنذاك ألا اعلن عن كشفي؟

ربما لان الفقر قد نحت عظامي فأورثني الفتور والبلادة في مفارقته, أو أن الشح قد اسبغ علي من فيض كرمه فأرداني دركه السفلي، لذا فقد قررت التروي في الطفو لعالم الغنى, ولن أبارح منزلي، وعقدت العزم أن يظل الوضع كما هو حتى حين، ومضت أيامى التالية كسابقيها, باستثناء أنني صرت واثق الخطا, متبختر الفؤاد, منتشى القلب, من أثر ماستي التي أشعرني قربها قربها, بأنني أغنى من (بيل غيتس) ذاته!

ومع مضى أقل من عام حدث مالا يتصوره عقل, ولا يخطر بقلب بشر، ويكان القدر قد اصطفاني دون جميع البشر ليهبني من فيض كرمه، وهداني للعثور على ماسة أخرى.!

وبالطبع كانت الظروف مختلفة، وكذلك حجم الماسة نفسها كانت اقل حجما من قرينتها بمراحل فغمرتني سعادة الدنيا، حتى ايقنت حينها أني أسعد البشر على الاطلاق، وبعد فترة مماثله عثرت على ماستي الثالثة!

وللعجب كانت أيضاً أقل حجماً من مثيلتها السابقة!

وختم القدر ألاعيبه معي بماسة رابعة بعد انقضاء نفس المدة الزمنية، وأيضاً كانت أصغر حجماً, ومعها اعتراني إحساس مدهش بأنني صرت شاه البشر بلا منازع.!

وهنا عصفت بى الدهشة كعادتها مع كل مرحلة سابقة، فالماسات التي حزتها كانت متباينة الأحجام للغاية، وكذلك توقيتات العثور أيضا كانت متوافقة بشدة، تزامن ذلك مع ترقية استثنائية في العمل وبالتالي صعود المرتب لمرتبة أعلى

ابتسمت حينها ساخراً فالأفراح معي جاءت حزمة واحدة وآن لي أن أسعد ويطرب قلبي بحق، ولكوني قد عزمت العزم مسبقاً على عدم البوح بسرى حتى يحين الموعد المناسب، لذا ومع الكشف الاخير قررت حينها ان أبزغ لعالم الثراء بظهور ماساتي للوجود، بعد طمس طويل في جوف منزل عفن كالمقبرة العتيقة الغبراء.!

قررت بعد الخروج من العمل في ذلك اليوم أن يكون هذا أخر عهدي بأيام البؤس والشقاء وأن أفارق منزلي لحياة رحبة جديدة. مع اعلان كشفي للنور لأطفو معه وبه لعالم الترف والبزخ اللامتناهي.

خاصة وذلك الصعود يتوافق مع مركزي الحالي بالعمل لذا لن يكون هذا بعجيب.

ومع استقراري على الفكرة, قررت وضعها موضع التنفيذ في تلك الليلة الدهماءً!

أجل دهماء يا دكتور لأنها حملت لي أكبر فاجعة في حياتي !

الفاجعة التي قصمت ظهري بمطرقة هائلة ليس لها من راد!

كارثة شطرت كياني نصفين بمقصلة ماضية بلا ادنى رحمة أو ذرة شفقة!

فجاء الهول الذي حول أحلامي بجنة الغد إلى جحيم مطبق بلا هوادة.!

كنت عائداً من العمل منتشياً بحسن قراري الاخير وبعظيم خطتي الحاذقة.!

حينما رأيت بأم عيني منزلي العتيق يهوى على حلمي الأثير ليحطمه تحطيماً

أجل انهار منزلي المتهالك على ماساتي راساً على عقب ليصيب حلمي في مقتل غادر بلا رحمة!

انهار المنزل العتيق اخيراً وانهارت معه كل أحلامي وامنياتي بعالم مشرق رغد العيش، عندها حاولت أن أجر قدماي وأندفع للذود عن ماساتي لأفتديها بروحي ولكن قدمي خانتني، فلم تتحرك قيد أنملة عن موضعها, فارتج كياني كله وماجت عروقي بحمم اللافا وتقهقرت ما بها من دماء.!!

فمادت الارض تحت أقدامي، ثم ضاقت حلقاتها بقوة، وتيبست اطرافي بحدة, وشعرت حينها بان هيئتي أصبحت في حالة مريعة يرثى لها، كأبشع تمثال رخامي في مزار الجحيم.!

وتزلزل كياني ثم انهار بحدة كانهيار برج التجارة العالمي (إمباير ستيت)في أحداث سبتمبر!

و كطود صار دَكًّا من شدة القنط، سقطت على الارض بلا حراك, لينتهي كل شيء تماماً.

***

بضغطة زر توقف انسياب الحديث، ثم رفع الطبيب النفسي الشهير ملف ذلك المريض من على سطح مكتبة وأخذ يتصفح أوراقه العديدة وملامح وجهه تنضح بالمرارة، وما لبث أن استل قلمه من غمده ثم شرع يخط كلمات مقتضبة على روشته خاوية، ويتمتم بعبارة مريرة خرجت كالعلقم من حلقه:

- التشخيص: أزمة نفسية حادة على إثر مصرع زوجته وأطفاله الثلاثة نتاج انهيار منزلهم المتصدع ليدفنوا أحياء.

معالي أحمد هاشم البهنساوي. مصر

الفهرس

صدمة العمر ٥
جنّية البّحر ٧
الأمواج المتلاطمة ١٣
الظَّلامُ المُنِيرُ ١٧
الوجهُ الآخرُ للحبِّ ١٩
جنون الغرام ٢١
حب ضاع على وقع خطاك ٢٣
رائحةُ نَيْسان ٢٧
زخات الحب ٣١
سرحت بخيالها ٣٥
شيءٌ ما في صدري يشدني إليك ٤٣
عودة ٥٥
فوق خط الحِياة ٥٧
فينوس لا تعرف الرحمة ٥٩
وتجمعنا الأيام ٦٣
لو لم يكن قدراً ٦٩
نايا على مسافة حلم ٧٥
مأساتي ٧٩